ديالا

رواية

تأليف

لمياء السعيد

obeikan.com

طبعة ٢٠١٧

السعيد، لمياء.

ديالا العائدة من الجحيم: رواية/ لمياء السعيد – .- الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٧ .

٢٢٨ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٢ ٥٢٣ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية.

أ - العنوان

٨١٣

obeikan.com

ديالا

رواية

تأليف

لمياء السعيد

obeikan.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المشرف

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٧/٢٠٥١

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٥٢٣-٢

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : ديالا

المؤلف : لمياء السعيد

الغلاف : أحمد الصباغ

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikan.com

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى من علمني حرفًا أو حرفة يومًا ما،
ولنفسي التي أنهكتها في محاولة تحقيق أحلامي.

obeikan.com

obeikan.com

ديالا العائدة من الجحيم

obeikan.com

obeikan.com

إن قررت أن تقرأ ففكر أولًا: هل أنت قادر على مواجهتي؟!!

ولتعلم أنك دخلت عالمي ربما تخرج وربما تظل حبيسًا معي؛ فأنا موجودة بين سطور هذا الكتاب.

obeikan.com

رن جرس المنبه الساعة الثامنة؛ استيقظت ريم على غير عادتها مبكرًا. غسلت وجهها وارتدت ملابسها سريعًا وحملت حقيبتها وهمت بالخروج، فنادت عليها أمها:

يا ريم، هل ستخرجين الآن؟

نعم يا أمي.

مازال الوقت مبكرًا على المعرض، تعالي تناولي فطورك معي أولاً، فالساعة لم تتجاوز الثامنة والنصف، لنفطر ونستمع إلى النشرة بعد قليل.

رجعت ريم إليها، وقالت لها:

يا أمي أنا أنتظر المعرض منذ عامين أن يفتح أبوابه؛ فمنذ الثورة لم يقم معرض الكتاب بشكلة المعهود، وأخاف أن تمنعني المظاهرات والاحتجاجات من الذهاب.

أريد أن أدخله باكرًا قبل أن يسوء الوضع في الشوارع كما تعلمين؛ فاليوم هو الجمعة وأنا أريد الذهاب مبكرًا حتى أجمع أكبر قدر من الكتب، وأرى المعرض في أول

أيام افتتاحه؛ فقد اشتقت للكتب، والتنقل بين المكتبات والأرفف. أنتِ تعرفين أن الكتب هي عشق حياتي، والمعرض بالنسبة لي أفضل من الماجيك لاند. قاطعتها أمها اصبحت أخاف من يوم الجمعة هذا،

ما رأيك لو تأخذين إجازة وتذهبين في يوم آخر؟

لا أستطيع يا أمي فأنتِ تعلمين أن الإجازات صعبة جدًّا في عملي، وأنا أدخرها لأمر قوي كالمرض، أو أن يكون الذهاب مستحيلاً.

إذن اذهبي يا حبيبتي حفظكِ الله، ولكنْ يجب أن تأتي قبل الصلاة لا تقلقيني عليكِ، واجعلي الهاتف قريبًا من يدك، ولا تفارقيه كي أطمئن عليكِ، لا تقتليني بلامبالاتك، وإلا فسأقسم ألا تذهبي. يكفي ما أراه كل يوم على شاشات التلفاز؛ لقد أصبح يوم الجمعة يحمل إلينا الألم ولا يتركنا إلا قبل أن يجعلنا من المودعين لخيرة شبابنا، فلا يرحل إلا بين جموع المعزِّين وحملة الأكفان.

يـا أمـي لا تقلقـي، سـوف آتـي قبـل الصـلاة مباشـرة، سـلام فقـد تأخـرت.

هل أكلتِ شيئًا؟!

- لا.

- على الأقل افطري أولاً. ابتسمت ريم، ثم قالت:

سـأفطر هنـاك، طبعـت علـى وجـه أمهـا قبلـة، وحملـت حقيبتهـا وجـرت مسـرعة إلـى الخـارج.

كانـت روحهـا تهفـو إلـى المعـرض فتسـبقها، ويـدور عقلهـا فيمـا ستشـتري أكثـر مـن دورات عجـلات السـيارة، فـريم ابنـة الخامسـة والعشـرين عامًـا تربـت علـى حـب القـراءة منـذ نشـأتها.

تتذكـر حـين كانـت صغيـرة، وأحضـرت أمهـا عشـرات الكتـب. كانـت أمهـا تتشـح بالسـواد؛ فقـد رحـل أبوهـا وهـو يجـري جراحـة عاجلـة نتيجـة كسـر في قدمـه اليسـرى، وعندمـا ذهبـت أم ريم إليـه في المشـفى همـس لهـا أن تحمـل

كتبه إلى منزلها قائلاً لها: سأترك لكِ كتبي ورسائلي لأمك؛ فأنا لا أئتمن أحدًا عليها غيرك، فحافظي عليها كما حافظتي على كل أسراري طوال حياتي؛ فأنتِ ابنتي الأقرب إلى قلبي، وأنتِ تعلمين ذلك؛ فقد كان يعمل مدرسًا، ولكنه عشق الكتب واللغة العربيه، فجمع على مدار حياته أمهات الكتب في شتي مجالات العلوم والأدب، وكان شاعرًا يكتب القصائد ويدسها في درج مكتبه ولا يسمح لأحد من أبنائه أو أقاربه بالاقتراب منها أو لمسها؛ فقد كانت كل قصائده رثاء لزوجته التي رحلت مبكرًا من الحياة، تاركة له ستة أطفال في كل مراحل العمر.

كانت أم ريم الثالثة في ترتيب أخواتها، ولكنها المحببة إلى قلبه وهي الوحيدة التي سمح لها بقراءة قصائده، بل أوصاها عليها بعد موته؛ لأنها تحمل كل ملامح زوجته، تلك التركية الجميلة التي فتن بها يوم أن رأها تمر أمام منزله، فسار إليها مشدوهًا لا يعبأ بكل ما حوله، فقط يريد أن يعرف من تكون تلك الساحرة. وبالفعل تبعها إلى منزلها وعرف أن أباها رحمه من أكثر التجار ثراء

بالمنطقه التي يعيشون فيها وهو، مصري لكن زوجته تركية أتت معه من تركيا، وعاشت معه بالقاهرة، وانجبت ابنتها الوحيده التي حملت جمال أمها بشباب ودماء مصرية، فكانت ملكة فرعونية بعيون ملونة وشعر أشقر، ولكن أمام جمالها وثراء أبيها، شعر أن آماله تضاءلت، وأن ما يتمناه مستحيل؛ فلن تكون له سيدة القصر، فاكتفى برؤيتها ليشعر أنه ما زال على قيد الحياة.

ولكن ذات يوم حدث ما لم يكن يتوقعه في أفضل أحلامه؛ وقفت أمامه في محل أبيه المتواضع، وقالت له: سي إبراهيم.

لم يصدق نفسه؛ فقد سمع صوتها أخيرا، إنها تناديه باسمه أتعرفه هي؟

هربت حروفه وتحشرجت كلماته، ورد بصوت لا يكاد يلامس حنجرته، وهو المميز بصوته الجهور في مدرسته بين طلابه.

شعر بأنه يطوف في علياء السماء، ولا يريد الهبوط إلى الأرض.

قالت له: إن كنت يا ابن الأصول تريد الحلال، فأنت تعرف بيتنا.

لم يستوعب ذلك حتى رحلت بحضورها المهيب؛ فعاد للواقع غير موقن أكان ذلك حلمًا أم حقيقة!

وكزه أبوه ليستفيقه،

ثم قال له: سمعت ما قالته، ولكني لم أقترب حتى لا تخجل، بنت الأصول قالت الأصول، وإن كنت تريدها نكلم أباها.

وافق بلا تردد، وذهبا إلى أبيها في اليوم نفسه بعد العشاء، ولم تكن الحياة تحمل تعاقيدات اليوم، بل كانت الدنيا بسيطة. ترتسم على ريم ابتسامة باهتة متخيلة نفسها تذهب إلى معتز زميلها في العمل الذي ترى في عينيه نظرات الإعجاب بها، وتقول له: إن أردت الحلال فأنت تعرف البيت.

ساعتها سيعتقد أنها فتاة سيئة ترمي بنفسها عليه، ومن الممكن أن يزداد الأمر سوءًا وتسوء سمعتها إن كان عكس ما تعتقد فهي أيضا لا تضمن ردة فعله.

تشعر بأنها ولدت في زمن خطأ.

ماذا لو ولدت في الثلاثينيات؟!!

حاولت تتخيل نفسها بالملاية اللف واليشمك وتركب السبارس كما قالت أمينة في رائعة نجيب محفوظ، وتنادي كل شخص باسمه مسبوقًا بـ«سي» فلان، وتتبختر في مشيتها كـ «تحية كاريوكا» في سمارة وتتحول ابتسامتها لضحكة تلفت نظر من يجلس بجوارها فينظر إليها كأنها قد جنت مع من تضحك. ثم تعود ثانية إلى حكاية جدها وأبيه يوم أن ذهبا إلى بيت أبي جدها فحدث ما كان يهابه، لم يرفض الأب طلبه ولكنه طلب مهرًا كبيرًا فوق طاقتهم لم يشأ الأب ان يرفض حتى لا يرسل إليه كل يوم مرسالاً من التجار يستعطفه، ولكنه غالى في طلباته، ولا يستطيع أحد أن يلومه، إنها ابنته ويجب أن يأخذها من يزنها بالذهب كما اعتاد الناس القول، وحتي لا تعيش في مستوى أقل مما تعيش فيه الآن.

حطت سفنه في مرافئ اليأس حتى قارب عقله على الذهاب والجنون، جلس شاردًا ليلاً ونهارًا، وأبوه يرى عجزه في عين ابنه، ويعلم أن العشق تملكه، ولكن كيف السبيل؟!

جمع نصف المال بشق الأنفس وأخبرها بذلك في انكسار، لم يرفع عينه في عينها وهو المشتاق لنظرة تروي شرايينه.

ذهبت والدموع تبلل عينيها، فعرف أن العشق تملكهما ولا فرار، ولكن ماذا يفعل؟!

أرسلت أمها في طلبه مساءً.

دخل عليها غرفتها، وهو ينظر إلى الأرض؛ فقد منعه خجله وتربيته أن ينظر إليها.

أجلسته، وقالت له: هاتان جرتان من الذهب، هما لك أكمل المهر واشتري بيتًا تتزوج فيه.

حمل نفسه، وهمَّ خارجًا.

نـادت عليـه: لـو لـم تفعـل ذلـك لقلـت سـاء اختيـاري، ولـم يصدقنـي قلبـي ولكنـه مـا كـذب علـيَّ يومًـا، فأنـت مـن يسـتحقها.

وقبـل أن تأخـذك عـزة نفسـك، وتخسـر الكثيـر، لـم يبـق إلا غـدًا في المهلـة التـي أعطاهـا لـك أبوهـا، وإن لـم تسـتطع إحضـار المهـر فسـيحضره غيـرك، فإمـا أن تحمـل الجرتـين، أو تنسـاها.

كانـت قدمـاه تقـدم واحـدة وتأخـر أخـرى، ولكنـه علـى أيـة حـال حمـل الجرتـين،

وقال لها: أقسم أنني سأردهما إليكِ يومًا ما،

قالت له: أعرف.

وأنـا أعطيتـك إياهمـا سـلفًا؛ لا لأن ابنتـي رخيصـة، ولكنـي أعلـم أنـك أغلـى ممـا تحويهمـا هاتـان الجرتـان.

سـأحكي لـك حكايـة صغيـرة: أنـا عشـت وحيـدة هنـا منـذ أتيـت مـع زوجـي مـن تركيـا؛ فقـد تعـرف إلـى أبـي

في إحدى رحلاته للتجارة، وأعجب بي، كان يعلم لغتنا، ولم أكن أعلم لغتكم، فتنت به عندما أخبرني ابي بأنه سيأخذني معه إلى الشرق إلى مصر، كاد قلبي أن ينخلع من الفرحة، جئت معه وعاملني كأميرة، ولكنني وحيدة لا أعرف أحدًا هنا، وأعمامها وزوجاتهم قساة، كثيرًا ما أرادوا أن يتزوج بأخرى كي تجئ له بالولد، ولكنه رفض واكتفى بي، ولكنني عشت عمري كله أخاف أن تأتي لي ضرة فأشرد، وعندما مات أبي حمل إخوتي لي جرتين من الذهب، ميراثي من أبي، لم يراهما زوجي ولم يهتم أصلاً؛ فأنا أعيش معه في رغد، ولكنني قلت: إن تزوج فسيعانيني هذا المال أن أرجع بلدي؛ لأنني لن أتحمل زوجة أخرى ومرت الأيام، ولم أنجب غيرها.

وكما قلت لك: لا أهل لي في بلادكم، وأعمامها قساة، عندما يأسوا من أن يتزوج بأخرى سعوا بكل الطرق أن يتزوج أحد أبنائهم للاستيلاء على أموالها وما ترثه من أبيها. وأعرف أنهم إذا أخذوا مالها فربما تعيش معهم سعيدة، وربما يرمونها في الشارع، مثلما أرادوا أن يفعلوا

بي، فقد مرروا حياتي بأحقادهم منذ أن جئت ولا اريدها أن تكون بينهم وحيدة بعد موتي وموت أبيها، وأعرف أنك ستصونها، وستكون لها الأهل والعزوة من بعدي، أنا أرى ذلك في عينيك.

شكرها بعينيه وغادر.

لم ينم ليلته ولم تغمض عينه لحظة؛ فقد ألقت عليه أمها حملاً يفوق الجبال، ورأى في عينيها ضعف الغرباء، ويجب أن يكون على قدر المسئولية التي أمنته عليها، وظلت كلماتها العربية التي اجتهدت أن تقولها عالقة في ذهنه؛ فقد كانت لغتها العربية ركيكة جدًّا، ولكنها كانت تحاول وتجتهد كي توصل كلماتها. ذهب إلى أبيه عند صلاة الفجر، وفي طريق العودة كان شاردًا أيقول له ما حدث، وكيف لا يخبره، ماذا سيقول له إن سأله من أين أكملت المهر؟

لاحظ أبوه حيرته وشروده ولم يكن أقل منه شرودًا؛ فهو يعلم أن ابنه يحبها، لكن المهر كبير،

ويتساءل: ماذا لو رهنت المحل؟

ولكن لو علم أحد بالأمر فستكون فضيحة بـ»جلاجل»، وكيف سيعيش إن لم يستطع تسديد الرهن. وعندما نظر إليه صعب عليه أن يتركه؛ فسأله: ما بك يا إبراهيم؟

إنك شارد الذهن مشتت، أعلم يا ولدي أن موضوع المهر مزعلك، أنا خلاص بفكر أرهن المحل وأكملك المهر.

فقال له: لا يا أبويه مالوش داعي.

وحكى له ما كل حدث.

توقف الأب وأخرج من جيبه مصحفًا وأمسك بيد ابن ووضعها فوق المصحف

وقال له: أقسم بالله العظيم أن ترد ذلك المال كاملاً من أول رزق ربنا يرزقك بيه،

فأقسم إبراهيم مطيعًا أوامر أبيه.

فقال له: يا ولدي دا مال ولايا ومينفعش ايدك تتمد له، وان مديتها تلتزم برده اوعي من مال اليتيم والوليه يا بني.

وأكملا طريقهما للبيت، وعلامات السرور تملأ وجوههما .

وفي الليلة التالية ذهب إلى أبيها حاملاً المهر، ولسانه يلهث لقراءة الفاتحة، وتحديد موعد الزفاف. وبالفعل فوجئ أبوها. ولم يجد سبيلاً للرفض؛ فقد أوفى بما طلب منه. وعندما عاتبه إخوته،

قال لهم: مضطر طلبت اللي يفوق المهر عشر مرات، ووفى ومقدرش أقوله ليشتكيني للناس ويقولوا ايه مالك لحس كلمته، مستحيل.

ومرت الأيام وهو يعد منزل الزوجية ويهيئ لها كل شيء.

كانت الدنيا بسيطة والأثاث بسيط، ولكنه حرص على شراء الأفضل.

وأحضر لها خادمتين حتى تعامل معاملة الملكات التي تستحقها، وجاءت إلى بيته فأنارته كما تنير النجوم السماء.

obeikan.com

وتبدل حاله بحال أخرى فأصبح ثريًّا، بعدما ترك التدريس وامتهن التجارة.

كانت كما يقولون «وش السعد عليه».

ساعدته يومًا بيوم. علمته أصول التجارة التي ورثتها أبًا عن جد. أنجبت له ستة أبناء، أربع بنات وولدين. عاش معها عشرين عامًا، لم يحزنها يومًا ولم تحزنه يومًا، حتى أنه كتب فيها القصائد، وكانت كلمات الغزل لا تنتهي بينهما بعد كل هذه السنوات.

وفي ليلة سوادها حالك وطولها كألف عام، مرضت الحبيبة وذهب بها للمستشفي الفرنساوي، فقال له الطبيب الذي لا يتحدث العربية لقد انفجرت المرارة منذ عدة ساعات، وإن أشرقت عليها شمس الصباح فستنجو، وإن لم تتجاوز محنتها فالبقاء لله، وأسال الله لك الصبر.

جاء أهل أبيها جحافل إلى المشفى، وأخذوها منه ومن أولادها،

وقال له عمها كلمات آمرة: لن نترك ابنتنا للموت في المستشفيات، سننقل المشفى إلى البيت فنحن لسنا كعامة الناس نرمي لحمنا في المستشفيات، مع أنه كان ثريًّا ولكنهم كانوا أكثر منه مالاً وعزوة، وأشد منه طباعًا وأكثر عددًا وكلماتهم آمرة لا ترد، وجه إليه عمها كلمتين فقط:

إن عاشت فسنردها لك، وإن ماتت فستدفن في مقابرنا.

أخذوا الحبيبة، وهو لا حول له ولا قوة. أبناؤه حوله ما زال أصغرهم رضيعًا، ماذا يفعل؟

هم قساة القلب ومقتدرين وكثرة، وهو وحيد.

لحق بهم إلى بلادهم، ولكنهم قابلوه بالدموع فعرف أن من تربطه بهذه الحياة رحلت.

لم يسامحهم قط فقد أراد أن يراها ولو بضع دقائق أخرى، ويحضنها بين ذراعيه.

عشرون عامًا ليست كافية فما زال يشتاق إليها. عاش بعدها ثمانية وثلاثين عامًا يربي أبناءها، ولم يتزوج أخرى، ولم يحاول رغم محاولات الكثيرين، لقد قاطع أخته حين نهرته، وقالت له: إنها ماتت وانتهت ولابد له أن يعيش.

آهٍ يا جدي، لم أر رجلاً مثلك في حياتي. من الطبيعي أن تخلص النساء، ولكنك أخلصت وتفانيت في حب من ملكت قلبك، لم أجد لقصتك مثيلاً حتي في كتب الغرام التي قراءتها بالمئات.

تحكي أمي عن تلك الليالي التي كان يرجع فيها من العمل ليسهر حتي الفجر في غرفتها صامتًا، لم يغير فيها شيئًا، تنساب فقط دموعه بين الحين والآخر.

علمني جدي أن ليست كل قصص الغرام تكتب في الكتب، ولكنها تحدث؛ فالحب هبة يمنحها الله للقلوب، ومهما حاول الإنسان التعبير عنها فلا يستطيع، وحين شعر باقتراب الأجل صمم أن تحمل أمي كتبه وقصائده

إلى بيتها معها؛ فهي من تشبهها، وهي من ستحافظ على هذا الإرث. وبالفعل لم تحمل أمي إلا القصائد بعد وفاة جدي بعدة أشهر، فقط قصائده وقد قرأتها، وحفظتتها عن ظهر قلب، وعشقت كل حرف فيها.

عمري خمسة وعشرون عامًا، لم أصادف الحب يومًا ولا أعلم هل انتهى من هذا الزمان فاستهلكه من قبلنا، أم إنني لم أجده وسوف يأتي إليَّ يومًا ما؟

- المعرض، الأستاذة اللي نازلة المعرض فين؟

- قاطع ذكرياتي صوت الكمسري معلنا وصولي إلى محطتي التي أعشقها.

إلى المعرض، تنقلت بين مكتباته دون ملل طوال اليوم، اشتريت العديد من الكتب في الأدب والروايات والعلوم. كنت أريد أن أحمل المعرض كاملاً بين يدي.

ثقلت عليَّ الكتب فأنزلتها لأريح يدي، وصادف ذلك أمام مكتبة في جناح سور الأزبكية. وقفت بعض الوقت، لفت انتباهي بعض الكتب شبه القديمة، اقتربت منها

وأخذت أقلب فيها أغلبها بالإنجليزية سوى كتاب واحد باللغة العربية، شدني إليه حجم الكتاب فهو كتاب يقارب نصف متر طولاً، وعرضًا لا يقل عن ثلاثين سنتيمتر، وهو حجم غير مألوف في أيامنا هذه، بل يقارب في حجمه أمهات الكتب. ولكن عما يتحدث؟!

أمسكت به، إنه معاد تجليده، ويبدو أنه قديم جدًّا أو مهمل، لا يوجد عليه عنوان، فتحت الورقة فوجدت كلمة «العائدة»، أخذت أقلب في الكتاب أقرأ بعض المقتطفات، فوجئت بصوت يقول لي

: أتريدينه يا آنسه؟

التفتُ إلى البائع، ثم قلت له

: بكم هذا الكتاب؟

قال لي بـ ١٠٠ جنيه قلت له: ولكنه قديم، أليس كذلك؟!

نعم قديم، فأنا أملكه في مكتبتي منذ فترة طويلة.

أنا لا أهتم للشكل، ولكن هذا كثيرعليَّ، كتاب قديم!

قال لي: كم ستدفعين؟

قلت له: ٥٠ جنيهًا.

قال لها بعد تردد: اتفقنا أخذت الكتاب، وكان آخر ما اشتريت وآخر ما تستطيع يدي حمله، وذهبت إلى المنزل محملة بكنوز من المعرفه، ولم أنسَ أصدقائي اشتريت لهم كتبًا على سبيل الهدايا. كنت متعبة جدًّا تركت الكتب بالأكياس، ونمت قليلاً فاستيقظت الساعة الحادية عشرة مساءً. أخذت في رص الكتب حسبما أريد، قرأتها أولاً، ثم أخذت بعض الكتب والعناوين. أبحرت في دنيا نجيب محفوظ، وتلقفتني أمواج رباعيات عم صلاح جاهين، ونمت وأنا أمسك بخطوط الحب على يدي نزار قباني.

أيقظتني أمي وهي تحمل الكتب من حولي، فقلت لها: صباح الخير يا أمي، من الواضح أني نمت وأنا أقرأ.

- ليست المرة الأولى، ولن تكون الأخيرة، أعلم ذلك.

obeikan.com

أنتِ متيمة بذلك، ولا فائدة من كلامي، ولكن حافظي على عينيكِ حتي لا يضعف بصرك مبكرًا.

ضحكت، وقلت لأمي: أنا أعشق القراءة والكتابة، ولكي أكتب جيدًا يجب أن أقرأ كثيرًا.

-النقاش معك يؤدي دائمًا إلى فوزك بكلماتك البراقة.

أخاف فقط على نظرك أن يضعف من القراءة ليلاً، فحاولي أن تقرأي بالنهار أكثر.

هيَّا إلى المطبخ معي لإعداد الفطور.

أفطرت مع أمي، وسرقت نفسي سريعًا إلى غرفتي، أقرأ وأتصفح بين الكتب. مر اليوم سريعًا وحل الليل وأنا أرتب كتبي. لفت انتباهي الكتاب الأخير الذي اشتريته «العائدة» اسم مميز امسكت الكتاب ومررت سريعًا بين صفحاته، هو مكتوب بخط اليد، ولكن الخط جميل ومنمق حتي لون الحبر الأسود له جاذبية خاصة، فما زال يعطي بريقًا مميزًا، كأنه كتب أمس، أحسست أنني مشدودة إليه حملته معي على سريري، فتحته وقرأت

المقدمة، كانت سطورًا تحمل الغموض أكثر مما أتوقع، كتب فيها:

إليك أحمل عمري يا من أخذتِ عمري،

إليك أحمل قلبي يا من سكنت قلبي،

أكره العدالة، فهي من حملت لي العذاب،

أيتها العائدة، عودي وردي لي جسدي؛ فقد أفنيت روحي

ولم أجد لجسدي فناء.

أيتها العائدة، لا تعودي بل أعيديها لي.

كلمات للوهلة الأولى تعتقد أنها من محب لحبيب، ولكن ما هي علاقة العدالة بالعذاب؟!

أيقصد بها العدالة بمفهومها الذي أعرفه أم أنها عدالة الحب للمحبوب؟!

أم أنه العذاب الذي يصاحب الحب؟!

obeikan.com

هـذا العـذاب اللذيـذ وهـو مـا يجعـل للحـب معنـى في قلوبنـا، ولكـن

هل في الحب عدالة، فالحب أسر وذوبان في المحبوب.

العديد من الأسئلة دارت في فكر ريم عن تلك المقدمة؛ فقررت إنهاء حيرتها بقراءة الكتاب.

فتحت أولى صفحاته، وجدت رائحة كالعطر تنساب من الكتاب تملأ الغرفة، شمتها ريم فقد كانت رائحة جميله جدًّا بمجرد أن دخلت الرائحة إلى صدرها، شعرت كأن زلزالاً هز كيانها.

فتملكتها نشوة أشبه بتلك النشوة التي تعتري أجسادنا عندما تلامس أمواج البحر، فتضربنا ضربة خفيفة تشعرنا بنشوة تلو الأخرى كلما أتت إلينا موجة جديدة.

وفجأة، وكأن الغرفة امتلأت بالهواء لا تدري من أين؟

وبعد أن فاقت من نشوتها أحست بالرعب؛ مما حدث نظرت للشباك فوجدته مغلقًا، خرجت ونظرت إلى كل

الشبابيك والأبواب، كلها مغلقة رجعت لغرفتها تتملكها الحيرة فنحن في شهر يناير والهواء ليس غريبًا تواجده؛ فالجو بالخارج شديد البرودة، ولكن من أين أتي فجأة؟!

وما هذه الرائحة التي حملها إليَّ أيضًا؟!

لم تستمر حيرتها كثيرًا؛ فالأسباب كثيرة ولا يستحق الأمر الحيرة وخصوصًا أنها مرهقة، نظرت للساعة وجدتها قد اقتربت من منتصف الليل.

أغلقت الكتاب وقررت أن تنام قليلاً حتى تستيقظ مبكرًا كما نصحتها أمها بالقراءة نهارًا.

أسلمت رأسها للوسادة، وأطفئت النور وما إن دقت الساعة الثانية عشرة حتي شعرت أن هواء يتخلل شعرها، التفتت سمعت أحدًا يهمس في أذنها:

أعيديني وحققي عدالتي وخلصيني من عذابي.

أضأت النور، التفتت خلفها لم تجد أحدًا استعاذت بالله من الشيطان، وتنفست بصعوبة جدًّا.

كان الكتاب بجوارها على السرير، نظرت إليه وقالت ما أنت بالضبط؟

هذه الكلمات قرأتها لتوي، ثم قالت في نفسها: أنا أسأل الكتاب؟!!

يجب أن أنام، فكثرة القراءة أثرت في عقلي، أغلقت النور واستسلمت لنوم عميق، لم تشعر بنفسها إلا عندما رن هاتفها، صحت من النوم مفزوعة جدًّا نظرت للهاتف وقالت له أهذا أنت؟!!

ردت عليه، كان المتصل فاطمة صديقتها تذكرها بميعادهما، حيث قررت أن تذهب للمعرض مرة أخرى بعد العمل، وبالفعل ارتدت ثيابها، وقبل أن تخرج وجدت الكتاب مفتوحًا وهي لم تفتحه، أغلقته وجرت إلى الخارج في معركتها اليومية للتنقل بالمواصلات ومعاناتها مع كوبري أكتوبر الذي تقول دائمًا: إنها أمضت نصف عمرها على هذا الكوبري وإن كانت تعشق الشتاء عن الصيف؛ فلأن الزحام بالصيف مميت والحر يحاوطها، والانتظار فيه

صعب، أما الشتاء فالجو رائع وقطرات المطر تنساب على زجاج السيارة فتوقظ في القلب دفئًا من نوع خاص. ومرت ساعات العمل مملة، وهي تنظر إلى الساعة تنتظر بفارغ الصبر أن يأتي موعد الانصراف لتقابل صديقتها ليحضرا العديد من حفلات التوقيع لكتاب من أصدقائهم، أخذوا خطوات ثابتة ونشروا كتبهم، تلك الخطوة التي لم تقدم عليها ريم رغم أنها تكتب منذ أن كانت في المرحلة الإعدادية، فقد قرأت كل كتب جدها وتلك الكتب التي حملتها أمها عبر السنوات إلى بيتهم؛ فهي ورثت حب القراءة والكتابة منهما، كما ورثت ملامح جدتها لأمها. ولكنها تخاف من الإقدام على تلك الخطوة، فهي شخصية خجولة بطبيعتها وتخاف مواجهة القراء بما تكتب مع أن من حولها كلهم يثني على ما تكتبه، فهي تملك خيوط الموهبة والعلم معًا، لكن الخوف من عرض ما كتبته هو ما يؤخرها.

مر اليوم بين حفلات التوقيع لأصدقائها، وتلك الندوات التي يقيمها كبار الكتاب، فقد قابلت اليوم عددًا

من الكتاب الكبار الذين تعشق كتاباتهم، وحصلت على توقيعهم أيضًا، وأخذت الصور مع الجميع؛ فالمعرض بالنسبة لها كرنفال ثقافي يأتي مرة كل عام يحمل لها الفرح في كل جنباته ليمر العام طويلاً في انتظار مجيئه مرة أخرى، ومر يوم آخر بمعرض الكتاب تنهل فيه من بحور المعرفة وتشتري الكتب، وتتعرف إلى الناس وتقابل الكُتَّاب.

ورجعت للبيت محملة بعشرات الكتب، وقد نظمتها بمكتبتها.

وسط سخرية أختها الصغيرة «حلا»، تلك التي لا تحب القراءة حتي كتب المدرسة لا تقترب منها إلا لضرورة الامتحانات، ولكنها تعشق مجلات الموضة وكتب الأبراج وحظك اليوم حتي إنها تحمل ملامح أبيها؛ تلك الملامح المصرية الأصيلة حيث الشعر شديد السواد، والعينان سودوان، والبشرة الخمرية، ولا تفارق سماعات الأيباد أذنها، فهي تسمع الأغاني طوال اليوم، حتى إنها تنام

وتترك السماعات بأذنها. هي عكس ريم في كل شيء حتي إن إحداهما عندما تريد إثارة حفيظة الأخرى تقول لها: إنك لست شقيقتي، بل أنتِ لقيطة وجدناها أمام باب المسجد. فتتذرع كل واحدة بحجة، ريم نسخه من أمها، ولكنها تحمل ملامح جدتها أكثر، العيون العسلية، والشعر الأشقر، وبياض البشرة، وحمرة الوجه، تلك الملامح التركية الأصيلة، وتعشق الكتب. لكن حلا لا تطيقها، وكل هوايتها تنصب على تصفح النت وسماع الأغاني. وتعتبر أن شراء الكتب تضييع للمال، وعيش في ماضٍ سحيق قد انتهى، وأننا يجب أن نعيش اليوم، وإن كانت أيضًا تغار بعض الشيء من ريم؛ فهي دائمًا المفضلة في أي لقاء عائلي أو مقابلة مع الأصدقاء، الجميع يسمع لريم ولا يبالي بـ «حلا» حتى إن الشباب يتهافت لنيل رضاها لما تتميز به من جمال رباني؛ فهي لا تحتاج إلا إلى غسل وجهها وتكون على أتم الاستعداد للخروج ومقابلة الناس. أما «حلا» فتشعر دائمًا أنها لا تستطيع أن تواجه العالم ببشرتها الخمرية فتحمل وجهها مئات الجرامات من

الكريمات والمكياجات والألوان المختلفه؛ لتكون كل يوم بطلة مختلفة، ولكن هذه المبالغة لا تعطي النتيجة المطلوبة دائمًا فهي غير راضية، كما أنها محط سخرية أهلها دائمًا وأصدقائها أحيانا، وتقول إن ريم مسرفة في شرائها هذه الكتب؛ لأن كل هذه الكتب متوفرة بصيغه البي دي إف على النت دون مقابل، فلماذا تشتريها إذن؟

إن ريم تعشق الكتاب الورقي ولا تعتبر أن هذه الكتب الإلكترونية ذات قيمة؛ فهي تعشق رائحة الأوراق وأدمنت رائحة الكتب القديمة.

أوت إلى فراشها، وجدت الكتاب مفتوحًا مرة ثانية سألت إخوتها إن كان أحد منهم فتحه، نفوا جميعًا. أمسكت به فتحته بحذر شديد، وأخذت تقرأ صفحاته، كانت عبارة عن سيرة ذاتية لشخص يدعى عادل، يعمل محاميًا، لكن أحداثه تعود لأكثر من مائة عام. فهمت ريم لماذا سمي الكتاب بهذا الاسم «العدالة»؟ إنه سيرة ذاتية لمحامٍ. أخذت ريم تقلب بين الصفحات يشدها الأحداث، إنها يوميات ذلك المحامي في عمله بالمحاكم والقضايا

التي يراها يوميًّا فضلاً عن أحداثها وشخصياتها. استمتعت ريم بالقراءة فكم كانت قضايا الناس بسيطة في ذلك الحين، ومشكلاتهم قليلة، ولم يكونوا مثل اليوم حيث الإجرام والوحشية في الجرائم، كانت حياتهم بسيطة وأموالهم قليلة. استمرت ريم في القراءة حتى قاربت الساعة على منتصف الليل. قامت وأطفأت النور، وطوت الكتاب، واحتضنت رأسها الوسادة. أحست كأن جسدها يجتاحه قشعريرة، كأن كهرباء تمر به سريعة، ثم سمعت صوتًا يهمس في أذنها:

إنه العذاب القادم.

صرخت ريم فاستيقظت أمها، جرت سريعًا إلى غرفتها احتضنتها، وسألتها عما بها، قالت: سمعت أحدًا يكلمني، وتلك المرة الثانية، أنا خائفة جدًّا يا أمي.

هدأتها أمها

وقالت لها: يا حبيبتي إنك تقرأين وعندما يسيطر عليك النوم، فإن عقلك الباطن يهيئ لك ما قرأتِه كأنه حقيقة. اهدأي يا ابنتي ونامي، واقرأي نهارًا أرجوك.

استسلمت ريم لوسادتها ونامت وأمها تربت على كتفها حتى نامت.

استيقظت مبكرًا جدًّا بعد صلاة الفجر، توضأت وصلت وفتحت الكتاب مباشرة وأخذت تقرأه، كلها حكايات تدور في حرم المحاكم في زمن فات، هنا خناقة بسبب مياه الري، وهنا خلاف على منزل أو عقد بسيط، وتنتهي بنجاح المحامي في قضيته. حتى وصلت إلى صفحة حدث ما، عندما فتحت الكتاب للمرة الأولى انتشر العطر بالمكان حتي خافت ريم أن تتشق ذلك العطر، أخذت تقرأ وهي ترتعد لكن فضولها يحركها، تريد أن تعرف سر ذلك الكتاب.

وللمرة الأولى لا يحكى الكاتب عن القضية ولا عن مهارته فيها، وإنما عن صاحبة القضية يصفها، وكأن عاشقًا يكتب شعرًا فى معشوقته، يصف كل تفصيلة بها: كيف رأها، كيف كانت تمشي، صوتها، نظراتها، كل ما فيها... سرحت ريم في ذلك المحامي الذي تحول إلى عاشق فجأة، وكيف أثرت فيه تلك المرأة. دخلت أمها

للاطمئنان عليها فوجدتها مستيقظة تقرأ قالت لها: هل نمتي فعلاً؟

ضحكت ريم، وقالت: نعم، ولكني استيقظت مبكرًا جدًّا، هذا الكتاب يحيرني.

ردت أمها اتركيه،

قالت ريم: مستحيل، ليس قبل الانتهاء منه، ولكن لن أكمل الآن عندي شغل كثير، والعديد من المهام والمشاوير سأنهيها أولاً، ثم أستكمل القراءة.

مر يومان، وانشغلت ريم ولم تفتح الكتاب نهائيًّا، ولم تقرأ فيه، وفي اليوم الثالث ليلاً أوت ريم إلى فراشها، ولم تمسك الكتاب أيضًا، وقبل أن تستسلم للنوم أحست ببرودة تسري في عروقها، شدت عليها الغطاء جيدًا، ولكنَّ الهواء يتسلل إليها من تحت الغطاء، قامت ريم وجلست على سريرها نظرت لشباك غرفتها فوجدته مغلقًا، ثم نظرت إلى الباب فوجدته مغلقًا أيضًا.

قامت لكي تتفقد باقي الشقة، لكن لم تستطع فتح الباب، حاولت مرارًا لم يفتح. نادت على أمها، لكنها تشعر بأن صوتها لا يخرج كأنها تنادي داخل جسدها لا بخارجه، شعرت بالخوف الشديد، حاولت فتح النافذة لم تفتح. ارتعبت ريم، ونظرت حولها لكي تجد به ما تكسر به النافذة لم تجد شيئًا، جرت في كل أركان الغرفة، تعبت وأحست بأنها في كابوس،

قالت: نعم، بالتأكيد أنا أحلم سأرجع إلى سريري وأكمل نومي؛ لأستيقظ من ذلك الكابوس المزعج.

رد عليها صوت هادئ:

لا، يا ريم أنت لا تحلمين، هذا واقع الآن.

انتفضت ريم، وقالت من أنت؟

قال لها: لا تخافي أنا لا أريد إيذاءك، أتمنى فقط أن تسمعيني. صرخت ريم مرارًا استغاثت بأمها، لكن صوتها حبس بداخلها، حاولت أن تفتح الباب بكل ما أوتيت من قوة، خاطبها الصوت: أرجوك اهدئي فلن يسمعك أحد

ويشعر بك، أنتِ معزولة الآن عن الواقع فافهمي ذلك، وإن استمعت لي فستفهمين!!!

لم تجد ريم بدًّا من أن تهدأ وتسمع، قالت له: من أنت؟

وأين أنت؟

ولماذا تحتجزني؟

قال لها: سأجيب عن كل أسئلتك، ولكن اسمعيني أولاً.

جلست ريم على سريرها وقالت له: احك لي وجاوبني عن كل ماسبق.

ضحك ضحكة هادئة مثل صوته

وقال لها: أنا عادل محمود المحامي، أسندت ريم رأسها وقالت: لقد سمعت هذا الاسم من قبل، أين؟؟!!

لا أستطيع التركيز الآن. قاطعها

قائلاً: أنا من كتب العدالة والعذاب!

انتفضت ريم،

obeikan.com

وقالت: نعم، ذلك الكتاب الملعون، منذ أتيت به وأنا أشعر بأن هناك خطبًا به.

قال لها: لن ألومك إن قلتي أكثر من ذلك هو فعلاً، ملعون ولكن ليس الكتاب، وإنما أنا الملعون!!!!

أنت الملعون، كيف ذلك؟!!

نعم، لعنتني تلك المرأة، عشقتها وفعلت المستحيل من أجلها، وكانت هي سبب لعنتي، بل هي اللعنة ذاتها، ثم سمعت ريم صوت بكاء يحتبسه الألم،

قالت له: لماذا لا أراك؟

رد عليها أنتِ خائفة مني لذلك لا ترانني، يجب أن تهدأي ويطمئن قلبك لي.

قالت ريم: هل شكلك يدعو للخوف؟

قال لها: لا أعتقد ذلك، فلم يقل لي أحد من قبل، إن شكلي مرعب، وبحسب آخر مرة استطعت فيها رؤية وجهي في المرآة كنت عاديًّا؟

ومتى كانت هذه المرة؟

منذ مائة وثلاثين عامًا وأربعة وخمسين يومًا.

أنت تمزح، أليس كذلك؟!!

لا، لقد عددتهم باليوم والساعة والدقيقة.

إذن، أنت لست مرعبًا.

لا، هل تريدين رؤيتي الآن؟

قالت له: نعم، ظهر أمامها رجل في منتصف الثلاثينات يظهر عليه الوقار، كأنه بطل من أبطال السينما في أوائل القرن الماضي، جلس أمام ريم في غرفتها، سألها هل اطمئننتي الآن؟

قالت: نوعًا ما، ولكن لا تنسى أنك عفريت، ضحك عادل

وقال: لا، يا ريم أنا شبح فقط.

قالت له: جيد وهل تعتقد أنني اطمأننت الآن؟

لا أعتقد ذلك، ولكني سأطمئنك، اسألني وسأجيبك بمنتهى الصراحة.

قالت له وهل هناك فرق بين العفريت والشبح ؟

قال لها: طبعًا، أنا شبح؛ لأن روحي معلقة بين الماضي والحاضر، إنما العفريت هو عفريت من الجن، هل وضحت هذه النقطة الآن؟

الم تسمعي بارواح معذبه من قبل ؟

بلا سمعت ونزلت دمعة علي خد ريم

قال لها اسف اني ذكرتك بشئ المك

لا عليك أكمل إذن ما تريد قوله.

لا ساسمع لكي اولا ماذا حدث لكي

تنهدت ريم وقالت انه خالد ابن خالتي

ماذا حدث له ؟

كان يوم زفافه ايقظتة خالتي وقالت له

«اصحى بقى يا خالد اليوم فرحك.. هل ستنام طوال اليوم؟

-صباح الخير يا أمي.

obeikan.com

-قوم يا عريس

قبَّل خالد يدي أمه، وقال لها إنها أجمل كلمة أسمعها منك يا ست الحبايب.

قالت له هيا، لا تدفعني إلي البكاء الآن، سيكون يومًا طويلاً. لا أصدق أنك ستتركني اليوم، وتعيش بمكان أخر.

-لن أتركك، فأنت تسكنين قلبي يا أمي، ولا يوجد أغلى منك بالعالم.

-كاذب.

ضحك خالد قائلاً:صدقيني.

رنَّ جرس الهاتف كانت ياسمين.

ضحكت أمه قائلة: حتى الآن تأخذك مني سأتركك، فورائي ألف شيء لإنجازه.

ردَّ خالد: صباح الخير يا أجمل عروسة،لم يكن يصدق أن اليوم سيكونا معًا لباقي العمر، وتنتهي رحلة انتظارهم خمس سنوات..سألته وهل سينفذ الحب بعد الزواج؟

قال لها لا يا عمري، سيبدأ حُب أكبر للعمر كله، فأنا سأحبكِ لأخر يوم بعمري..

وأنا أيضًا سأحبك لأخر يوم بعمري،

وبعد عمري أيضًا سأحبك.. الله، ما هذا الكلام الرائع؟

لا أستطيع الانتظار إلي الليل هكذا، سأتي لأراكِ الآن.. لا لا لا، هذا فأل سيء، لا يجب أن تراني إلا بالفستان ليلاً.. أنتِ تؤمنين بتلك الخرافات؟

كما تريدين، ولكني لا أستطيع الانتظار، أحبكِ.. وأنا أيضًا أحبك، أنتظرك بفارغ الصبر.

أغلق خالد الهاتف، و كان يطير من علي الأرض فرحًا.. هاهو الحلم يتحقق، فمازال يذكر يوم أن رأى ياسمين كأنها ملاك يمشي على الأرض.. رقيقة، جميلة، مرَّت بجواره، شعر أن الهواء قد تعطَّر بعطرها، وامتلأ الهواء بعبيرها.. تجمَّد مكانه غير مصدِّق.. هل هي حقيقة؟

يومها رأه صديقه محمد وهو بهذه الحال فسأله: ما بكَ؟

-مرَّ من هنا ملاك.

ضحك محمد وقال:

-هل شربت شيئًا وأنا بالمكتبة؟

-لا، صدقًا مرَّت فتاة كالملاك الآن، أجمل من أن توصف أصلاً.

-أفق، ما بك يا خالد؟

لم يمرّ من هنا إلا ياسمين ابنة عمي. الآن كانت معي بالداخل.

صُدِم خالد: أحقا تعرفها؟

-أقول لك ابنة عمي.

-عرفني عليها، أرجوك، أريد التأكد أنها هي، وبالفعل ناداها محمد، التفت إليهما، وحدث لي ما حدث.. فلم

obeikan.com

يقلّ انبهاري بها ولو قليلاً وتوالت الأيام واللقاءات حتى تخرجنا، وأمضينا فترة الامتياز، وكان الله راضيا عني وعُينَت معي بنفس المستشفي.

مرت تلك السنوات وهم يبنون بيتهم حجرًا تلو الآخر، وتتحقق الأحلام وها هو يوم تتويج أعوامًا من الانتظار.. لم يصدق أن والدها قد وافق، وكل شيء يسير علي ما يرام.

وتحوَّل البيت لحالة من الضوضاء، الفرح، والزغاريد، وكان الوضع بالمثل ببيت ياسمين.

ارتدى خالد ملابسه، وقاد سيارته وذهب لاصطحاب ياسمين من الكوافير. خرجت إليه.. كانت أجمل من أن تصدق.

قبَّل يدها، وركبا السيارة، لم نكن نصدق جمالهم كان كل شئ مثاليا أصرَّ خالد أن يسوق بها وتركب بجواره، كانت تريد الركوب بالخلف، ولكنه أصرّ أن يفعل كل شيء غير تقليدي اليوم.

كانت الزفة مهيبة، وكأنها موكب من ألف ليلة وليلة تتراقص السيارات على دقات قلوبهم، ويرمون عليهم الورود.. هي تضحك، وتقول له أشعر أني سندريلا اليوم أو إحدي أميرات الحواديت حتى إني نسيت كابوسي اليوم، وكل حياتي من قبلك.

أي كابوس؟

-حلُمتُ أنني لا أجد ثوب زفافي.

ضحك خالد: لم يكن كابوسًا.. كان حلمًا، وسأحققه أنا عندما نصل لبيتنا، سأخفيه لتبقي لي كما أنتِ.

خجلت ياسمين من كلامه واحمرَّت وجنتاها.

كانت مزامير السيارات تنطلق في كل الطريق معلنة قُرب وصول الموكب إلى صالة الزفاف، وفجأة..

وبدون مقدمات، ظهرت سيارة من العدم تقريبًا، فاصطدمت بسيارة خالد كأنها صاروخ مندفع، وقد وُجَّه ليمين السيارة حيث تجلس ياسمين مُحدِثة ارتباك في

عجلة القيادة، فأصبحت السيارة كريشة تتلاقفها الرياح، بل الأعاصير، وسط ذهول الجميع، والصراخ بلا انقطاع.. حتى تجمدت الكلمات بالحناجر، والدموع بالعيون معلنة حدوث كارثة محققة لا محالة.

فقد خالد الوعي إثر اصطدامته العنيفة، وجرى إليهما الجميع محاولين إنقاذهما، ولكن هيهات فقد قال القدر كلمته، وسبق السيف العزل. ماتت ياسمين.. تلك الزهرة المحلقة في سماء العالم، غادرت الابتسامة تلك الحياة البشعة، ودخل خالد في غيبوبة لا يعلم أحد نهايتها، ولكنها كانت الرحمة التي ألمت به، فلم يعرف بفراق الحبيبة.

المنا ما حدث تبدلت الالوان بالسواد والفرح بالحزن والعتم

رد عليها عادل اعرف هذا الشعور انه قاتل

قالت ريم القتل احيانا ارحم

هذا العالم بكل ما فيه.. مات الأمل وبقي الألم.. مرت الشهور وخالد راقد بلا حراك، ولا أي استجابة حتى شعر الجميع أنه يستعد للرحيل هو الأخر إلي من أحب،

ولكن أمه لم تستطع أخذ القرار بفصل الأجهزة،كانت تؤمن أنه سيفق ويعود لها.

وفي أحد الأيام تحققت الأمنية، واستجاب الله للدعاء، فاق خالد صارخًا: ياسمين أين أنتِ؟ احتضنته أمه، وبكت قائلة: إن الله قد استرد وديعته يا بني، فلا تحزن.

لم يصدق.. صرخ.. حاول الجري، ولكن خانته قواه، فهوى علي الأرض ضاربًا إياها بلا وعي، ومحاولاً ضرب رأسه بها. سيطر عليه الأطباء، والمساعدين حتى أرجعوه سريره وأعطوه حقن مهدئة.

شفي جسده، ولكن ذبح قلبه، فقد رحلت الحبيبة.

أصبح يراها كل وقت، ويسمع صوتها فيهب من نومه صارخًا باسمها.

نزلت من عادل دمعه حارقة فقد داهمته الذكريات

استطردت ريم وقالت

نصح الأطباء أمه بإيداعه مشفى نفسي حتى يتقبل ما حدث، ولكن قلب الأم أبى أن يقول الناس أن ابنها الطبيب قد جن.

أخذته إلى قبرها، وكان موقفًا مهيبًا. لم يكن يصدق أنها ماتت، ومدفونة هنا. حاول نبش قبرها بأظافره وأخيرًا استسلم لحزنه،

وقال لقد كانت غلطتي يا أمي أنا من قتلها.. أنا من أصر على ركوبها بالأمام إلى جواري، وهي كانت خائفة..

أنا من استهزأ بكابوسها ومزحت حتى تحقق.

أمسكت أمه بوجهه،

وقالت: أنت مؤمن فلا تكفر، ولا تعترض على أمر الله عسى الله أن يعوضك، ويلهمك صبرًا.

كان بكاؤه مريرًا، ولكن كانت تلك الصدمة في صالحه، فقد أيقن أنها رحلت بالفعل.

لم يستطع خالد الرجوع إلى شقته حتى لجلب ملابسه،

فقد قرر ألا يدخل تلك الشقة مادامت ياسمين ليست بها، ومادامت رحلت فقد حُرمت عليه نهائيًا.. كان يصحو من نومه صارخًا باسمها. كل يوم كان يرى بكاء أمه وحسرتها على حاله، ولا يستطيع منع نفسه من انهياره ولا منع دموعها من الانهمار، فقرر الرحيل، وترك القاهرة بكل ما فيها من ذكريات مؤلمة والانتقال بعمله.

ذهب إلى الوزارة، وطلب من المسئول أن ينقله للعمل في أبعد مكان يصل إليه البشر. ظنَّ الموظف أنه يمزح فهو بالقاهرة، ويريد الذهاب لمكان أخر، ولكن مع إصرار خالد قبل المسئول.

قال لأمه الخبر، وكأن صاعقة أصابتها فهزت كيانها، وزلزلت الأرض من تحتها.. أتريد الرحيل ؟

-نعم يا أمي، أفضل للجميع.

-أرجوك لم أعد أحتمل أن أرى دموعك، ولا أن أرى الإشفاق في عيون الناس.

-ألمي أكبر من عمري، أشعر أن دماءها بالشارع من حولي، أراها بكل مكان، لم أودعها، لم أمسك يدها وهي ترحل، زفتها إلي موتها يا أمي.. أنا من أرسلها للقبر، ولم أتمكن حتى من وداعها.. لم يعد باستطاعتي التحمل، فما في قلبي أثقل من أوزان الجبال.. اطلقي صراحي أرجوكِ لم أعد أستطيع التحمل، أنا أحترق وقلبي يعتصره الألم لدرجة أني أشعر بالشلل فلا أستطيع التنفس، ولا الحركة.. قلبي شُلَّ يا أمي.

انهار خالد في بكاء مرير، ومعه أمه، فقد احترق قلبها لعذاب ابنها.

فقالت له: اذهب وسيطولك دعائي إلى آخر الدنيا، قلبي معك يا حبيبي.

ونحن ايضا ايدنا ذلك لعل البعد يفيد

سافر خالد، وكانت السيارة تطوي الأرض تحتها ويتمنى أن تطوي أيامه مثلها، فلم يكن القدر كريمًا لتنتهي حياته معها يوم الزفاف، كان السفر طويلاً، ولكنه لم يبالِ فلم

يعد يشعر بأي شيء أصلاً.. لازمان، ولا مكان، وتلك من نعم القدر عليه الآن.

وصل إلى تلك القرية البعيدة في أقصى الصعيد، لم يرى منها شيئًا إلا ظلام دامس، لفها بعناية فلم يظهر منها سوى أشباح أطلال تنتشر بالجانبين، معلنة عن وجود بيوت وأناس يتهامسون بجوف الليل لعلهم مثله يناجون أنفسهم ويسكن في قلوبهم ظلام يضاهي ظلام قلبه، ولكن مستحيل فقد شعر أن المكان مضاء، ولكن ظلام قلبه أطفأ ما حوله من نور.

استقبله المساعد و دله علي المشفى. كان أشبه بعيادة بسيطة جدًّا، فلا يوجد بها أي أجهزة تُذكر. مجرد مكتب وكرسي وسرير للمرضى وستارة مهترئه لا تستر أكثر مما تفضح وكل شيء مهلهل، ويظهر عليه الفقر والعدم، وبضع زجاجات لأدوية قد تكون انتهت صلاحيتها أو حتى شطبت من جداول شركات الدواء أصلاً.

وعلى الرغم من كل تلك الصور التي يراها، لكنه غير عابئ أصلاً بما حوله، أهم شيء أنه الآن بعيد بما يكفي ليبدأ رحلة النسيان، ولكن عن أي نسيان يحدث نفسه، وأي أمنية يتمناها؟

هيهات أن تطاوعه نفسه.

استلم عمله، فلم يكن يريد أن يتعرف على أحد، فهو من عيادته المتهالكة إلى تلك الغرفة البائسة، والناس حالهم ليس بالغريب، فواضح أن البؤس يمتد من المكان للناس أو العكس فلا تجد هناك تغير بينهم.

وفي اليوم الثالث له بالمكان جاء المساعد مسرعًا: يا دكتور،كبير البلد عاوز يشوفك.

نظر إليه غير مبالٍ لما يقول.. ومن هو كبيركم هذا؟

وما إن ألقى نظرة على وجه المساعد وهو يقول له: إنه عزام بيه كبير البلد يا دكتور.

-البهوية انتهت يا عويس.

-يا دكتور إلا هنا، فلا نستطيع أن نقول عليه إلا عزام بيه وإلا تطير رقابنا.

مرَّت علي رأس خالد آلاف الصور من المسلسلات والأفلام عن كبير الصعيد، ذلك الرجل الظالم الذي استبد بأمور البلاد والعباد، أجفله عويس وهو يقول: له هتروحله إمتي يا دكتور؟

-سأمّر عليه بعد ساعة وأريدك أن تأتي معي لتدلني على الطريق.

-تمام يا دكتور.

قالها عويس بطريقة غفراء الدرك بالأفلام العربي، مما دعا خالد إلى الابتسام الذي كان قد فارقه وأوشك أن ينساه.

ذهب خالد وعويس إلى عزام بيه.. لم يختلف كثيرًا عن صورة الأفلام، ولكن كان أقسى وأشد، تشعر أنه رجل ظالم ومستبد من أول لحظة تجلس معه.

لـم يـرتح خالـد لـه، ولكـن سـايره لكـي يسـتطيع البقـاء بالبلدة، فقد حكي له عويس عشرات القصص عنه وكأنه ملك التتار بتلك البلدة، ولكن في ذلك القصر الذي يسكنه عزام بيه لم يكن الحال كباقي القرية، فهو قصر بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فلا يوجد بؤس كباقي القرية، ولا حتى سكان القصر من أول خفير بالخارج إلى ذلك المدعو عزام تظهر عليهم علامات البؤس، وفقر الدم العام بالقرية، وكأنهم ابتلعوا خيراتها، وتركوا الباقين كأسرى ليس لهم حقوق.

عاد خالد لغرفته، وجلس علي سريره، فتلك المرة الأولى منذ جاء يستطيع الاختلاء بنفسه قليلاً. تذكر ياسمين و شعر أنه يراها أمامه بابتسامتها المعهودة التي لا تفارق شفتيها لتمحو له الذاكرة، فلا يذكر أي شيء قبل أن يراها، ولا أي ضيق ألمَّ به.. انهمرت دموعه على خده، شعر أنه مهما ابتعد لن ينساها، ومهما هرب فإنه يهرب إليها.. شعر أنها قريبة جدًا منه الآن،

لأول مرة يرى وجهها بذلك الوضوح منذ ذلك اليوم اللعين.. أغمض عينيه فشعر أنها تلمس يده، شعر ببرودة أصابعها تشتبك بيده، وشعر بيدها تمسك كتفه.. فتح عينيه ليراها ولكنه لم يرَ شيئًا، ولكنه مازال يشعر أن هناك أحد ممسكًا بيده ويربت على كتفه فزعَ خالد.. ما هذا؟

هل أحلُم؟

ولكني أشعر بلمستها استغفر اللّه، وأوى إلى نومه وما هي إلا بضع حتى استيقظ من نومه، مناديًا إياها: ياسمين عودي...

ردَّ عليه صوت رقيق: من يرحل لا يعود.

كاد قلبه يتوقف من الإجابة.. نعم هو صوت فتاة كيف ذلك هل صار يتوهم الآن؟

لكن قبل نومه توهم أن أحدًا يلمسه والآن يجيبه.

أخرج من شنطته أحد الأقراص المهدئة التي اعتاد أخذها عندما توهن مقاومته فتأخذه إلى غيبوبة صغيرة علّه يرتاح، ولكن هيهات.. هي فقط تفصله عن واقعه الأليم.

ابتلع القرص فشعر أن جفونه قد تثاقلت عليه معلنة الاستسلام لنداء الراحة، ولكن بين غفوته وصحوته، شعر أنها تقف أمامه، ولكن كان النوم أقوى من أن يقاومه.

استيقظ بالصباح وهو يشعر أن هناك مطارق كانت تدق على رأسه من شدة الصداع. ذهب لعمله كان شارداً يفكر.. هل حقاً كان وهماً؟

هل فقدتُ عقلي كما يقولون؟

لا إنه مجرَّد إرهاق وتغيير جو ليس أكثر.

كانت القرية تخلو من أي نشاط، ما إن يعلو آذان المغرب حتى تجد كلٌّ قد ذهب إلى منزله، ولف القرية ظلام كبير حتى أوشكت على الاختفاء، ولكنها تعلن عن

نفسها ببعض الهمسات التي تترامى خلف تلك الجدران الطينية.

أوى إلى سريره، ظل ينظر لسقف الغرفة، ويتمتم.. ذهبتِ لأخر الدنيا ومازلتُ أراكِ، لا أريد الهرب منكِ، كنت أطمع أن أنضم إليكِ، ولكن القدر ليس كريمًا معي.. ماذا أفعل الآن بدونكِ؟

لا أستطيع العيش.

انسابت الدموع على خديه شعر فجأة أن أحدًا يمسح دمعه.. قام منتفضًا صارخًا: لا لا، لست أهذي، أنا شعرت بذلك فعلاً، ياسمين أنتِ هنا أريحي قلبي أرجوكِ اظهري.

«أنا لست ياسمين»

نظر خالد حوله.. إنه نفس الصوت.. نعم.. لقد سمعه أمس.. ارتجف جسده، وخارت قواه كان لسانه عاجزًا عن النطق وكأنه أصابه الشلل،قال متلعثمًا: إذن من أنتِ؟

-أنا نوَّارة، ولا أعرف كيف تشعر بي أو تسمعني، فأنا هنا منذ سنوات أصرخ كل ليلة فلا يجيبني أحد حتى كدت أن أيأس.

-من نوارة أولاً؟

قالها خالد وقد كان خائفًا من الإجابة، ولكن سبق لسانه في السؤال.

-أنا نوارة أخت عزام بيه.

تساءل خالد:

-عزام كبير البلد؟

-نعم هو بذاته، ليس كبير البلد، ولكنه ظالم البلد.

-لماذا لا أراكِ؟

هل أنت مختبئة؟

ولماذا أنت هنا الآن؟

ألا تخافـين أن يعلـم أخـوكِ بخروجـك مـن البيـت ليـلاً فيؤنبـك؟ ولمـاذا أنـت هنـا أصـلاً كل ليلـة؟

ضحكت ضحكة أشبه بالعويل، ثم قالت له:

-أخي هو من جاء بي إلى هنا منذ سنوات، وتركني.

-كيف ذلك؟

سنوات وأنتِ هنا، وتتركين قصره الكبير؟

-أنت مازلت لا تفهم أليس كذلك؟

-أفهم ماذا؟

قالها متعجبًا.

-أنا «عفريتة»

فضحك عادل وقال مثلي ولكنني شبح

ردت عليه ريم وقالت فيما يبدوا ان عائلتي موعودة بكم

فقهقه عادل وقال انها اقدارانا واقداركم

obeikan.com

حكت ريم ان

خالد انتفض من مكانه يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم محاولاً فتح الباب، اقتربت منه وأمسكت يده، شعر أن كل أوصال جسده تنتفض.. التفت حذرًا إليها فوجدها أمامه.. ملامح بريئة، ووجه صافٍ صبوح.

ترك خالد مقبض الباب، والتفت إليها، لم تكن مخيفة ولم يعد يشعر بقلق منها.

قالت له:

-لا تخف مني أرجوك، أنت أول من يسمعني، أنا أستنجد بك، ولا تتركني، ارحم عذابي فأنا معذبة منذ سنوات حتى كدت أن أتهالك.

ردَّ خالد:

-أنتِ جميلة وأنا لم أعد خائفًا منك، في وجهك شيء يطمئني.

-أنت تراني أيضًا؟

obeikan.com

-نعم أراكِ.

-لا أعلم ما بك؟

ولماذا أنت الوحيد الذي تراني، فقد حاولت أن أُسمِع صوتي للكثير بلا جدوى. يبدو أن قلوبهم كانت مغلقة فصمَّت آذانهم، وعميت عيونهم..

-أنا أيضا لا أعلم لماذا أراكِ؟

-يبدو أنك مجروح من شيء جعل لك طبيعة خاصة. الحمد لله فقد أرسلك الله لي.

-نعم أنا مجروح، فقد فقدت أعز ما أملك بالحياة.. خطيبتي التي كادت أن تكون زوجتي.

-هي ياسمين، أسمعك كل ليلة تناديها، ولكن كنت دائمًا أقول أن الراحلين لا يعودون.

-نعم سمعتك.

-ولكن عندما أجبت عليَّ تعجبت عرفت أنك تسمعني.

-نوارة احكِ لي ماذا حدث لك؟

سأقول لك:

-أنا أخت عزام بيه الصغرى، ولكني لست شقيقته سوى من الأب فقط. تزوج أبي من أمي على زوجته الأولى أم عزام، ولكنها كانت امرأة قاسية القلب، ورَّثت ابنها قسوتها، فقد كانت أمي أجمل وأصغر منها كثيرًا والأكثر أنها كانت غنية جدًا،

فقد ورثت أبيها وأمها وهما من أغنياء البلدة، وكانت ابنه وحيدة.. تزوجها أبي، فقد كانت مالاً وجمالاً. سكن معها بقصر عائلتها الذي يسكن به عزام الآن ،كان يرعاها بعد موت أبيها فوثقت به وأحبته جدًّا رغم فرق السن والمال،

ولكن أم عزام كرهت أمي بكل شكل.. سخرت لها، كادت لها، حولت حياتها جحيمًا.

أنجبتني أمي، ومنذ كنت طفله أشعر بكرهها لي الذي ورثته عن أمي منها فقد كنت أقول لها يا أمي، وكانت تضربني ضربًا مبرحًا كلما سنحت لها الفرصة لذلك،

وزاد عذابي أن مرضت أمي مرضًا عضالاً لا يوجد له دواء وأنا بالعاشرة ورأيتها وهي تشوِّه جمال أمي، فقد قصَّت لها شعرها الجميل، ورمته بالترعة، وأخرجتها للشرفة وهي صلعاء حتى يراها الناس بهذه الحالة.

كانت تضربها أيضًا، ولكن كل ذلك من وراء أبي فقد كان يحبنا، وينهرها لو رأها.

مرضت أمي المسكينة ثلاث سنوات، ثم ماتت. احتلت أم عزام قصر أمي، ولكن أبي كان يضلل عليَّ كشجرة صفصاف يخاف عليَّ من الهواء، ولكن في غيابه كنت أرى الأهوال،

هي أيضًا مرضت، ولكن بضعة أسابيع فقط لم تتعذب كثيرًا، والحمد لله لأن عذاب الله سيكون لها أكبر. ماتت، وحصلها أبي بعد بضعة أشهر، وبقيتُ أنا وحيدة مع عزام الذي ورث كره أمه لي،

فقد أسقته إياه سنوات عمري كلها رأيت عذاب أكثر من أن يتحمله بشر.

وفي يوم من الأيام جاء رجل إلي البيت يحمل معه أوراقًا، وقال لعامر إن كل شيء ملكٌ لأختك نوارة، فقد كتب لها أبوك كل شيء، لأن أصل المال مال أمها.

ثار عزام، وكسَّر كل شئ، وأمسك بي من شعري، ولكن سرعان ما تمالك نفسه أمام الرجل، وقال له «وماله هي أختي برضه»

يومها علمت أني سأعاقب بفعلة أبي تلك التي لا شأن لي بها، ولكنه أراد إراحة ضميره..

صعد أخي عزام إلي غرفتي ليلاً وجمع معه بضع أوراق، وطلب منّي ختمها حالاً وإلا سيريني أيامًا سوداء، خفت منه فختمت الأوراق كما أراد، وبعدما خرج قلت في نفسي: من الآن أكيد سيعاملني جيدًا فما أراده حصل عليه، وسيزول غضبه فأنا أخته مهما كان،

ولكن هيهات كنت واهمة، فأصبح لا يريد رؤيتي من الأساس بالبيت وإن صادف أن قابلته يعنفني وينهرني، ويقول لي لا أريد أن أراكِ أمامي نهائيًا، لا أريدك بالدنيا أصلاً، لماذا لا تحصّلين أمكِ لماذا لا تمرضين وتموتين؟

أنت لعنة بهذا البيت..

لم أكن أعرف ما هو ذنبي لكل ذلك.. المهم في يوم من الأيام قال لي احملي ملابسكِ واخرجي، وسأنتظرك عند المستشفى الجديدة لنذهب سويًا إلى البندر، سأؤجر لكِ منزلاً تعيشين فيه، وسيذهب معكِ من يخدمك..

قلت له اتركني أعيش تحت ظلك، أنت كأبي بالنسبة لي، قال لعل إن بعدتِ عن البيت بعض الوقت قلبي يهدأ وأرجعك إلي هنا لنعيش سويًّا.

فرحت جدًّا، حملت ملابسي، وخرجت قبل المغرب كما قال لي..

سرت بطريقي لم أكلم أحدًا ورآني الناس راحلة وصلت إلى، هنا كانت المشفى لا تزال تحت الإنشاء.. بحثت عنه بالخارج، لم أجده، دخلت إلى هنا أبحث عنه فوجدته جالسًا.. كنت أكلمه فلا يجيب..

اقتربت منه حتي يسمعني.. كنت اعتقده شارداً.. أمسك بي جيداً.. صرخت ما بك يا أخي فقد فعلت كما أمرتني؟

قال «أتريدين الهرب مع عشيقك يا فاجرة البلد كلها شافتك وأنت تهربين حطيتي رأسي بالطين»

قلت له أنا لم أفعل شيء.. قاطعني وقال لي اخرسي، وسدد لي طعنة الغدر، فاخترقت السكينة جنبي وأخرجها، وسددها بضع مرات حتى تهاويت من الألم تحت قدميه، متوسلة إليه، ولكن طعنني بها مرة أخرى، كانت الأخيرة..

نزلت على خد خالد الدموع متلاحقة صارخًا: مستحيل، هل يوجد إنسان بهذه القسوة؟

ردَّت نوارة:

-أقسم لك هذا ما حدث.

-أصدقكِ، ولكني لا أصدق قسوة البشر.

-ولا أنا.. أخذ المال، لماذا ألحق بي العار، وقتلني؟

obeikan.com

بكي خالد بكاءً مريرًا حتى كادت الدموعأن تجف من عينيه.. واسته نوارة قائلة: له لا تبكِ يا خالد، هذا قدري، وعمري قد انتهى،

ولكني هائمة علي وجهي منذ سنوات أريد إثبات براءتي لترتاح روحي، اللّه أرسلك لي لتعيد إليَّ شرفي وحقي الذي سُلب.. لترجع لي كرامتي التي ضاعت بدنيا الظلم والظالمين، فأحالت نهايتي إلى ظلمات لا أحتملها.

-وكيف ذلك يا نوارة؟ كيف أعيد إليكِ شرفك وحقك؟

فأنا أيضًا قاتل لا أختلف عن أخيكِ، ولكني قاتل رغمًا عني ليس بيدي.. قتلت خطيبتي.. ولو خيروني بين إرجاعها وعمري سأختار إرجاعها.

-نعم ياسمين.. ولكن أقول لك شيئًا.. من ذهب لن يعود، ولكن تأكد أنها تشعر بحبك وندمك ومستحيل أن تكون قاتلاً، أنت أداة فقط لتحقق أجلاً قد حان ومصيرً كُتب.

-صحيح يا نوارة، ولكني سأكفر عن ذنبي معكِ، سأعيد إليك شرفك سأذهب لآخيك وأواجهه لكي يعترف بخطئه.

-لا لا، أرجوك، أخي قاسي القلب، وسيقتلك.. إن كنت أنا أخته قتلني ماذا سيفعل معك أنت؟

-ولكن ما هو الحل؟

هل سأصمت وأتركِ تتعذبين؟

-لا أعرف، ولكني أخاف عليك.

سمع خالد صوت عويس ينادي عليه قائلاً: «يا دكتور العيانين ملوا الدنيا»

أخذهما الوقت فلم يدركا أن الصباح قد جاء، والساعة تجاوزت العاشرة.

قال لها: اختبئي الآن وسأعود إليك سريعًا.

-لا تخَف، أنا لا يراني أحد غيرك.. اطمئن، ولكن عدني ألا تفعل شيئًا إلا بعد أن تعود.

أمسك خالد يدها وقال لها: اطمئني...

مرَّ اليوم ثقيلاً، كان يريد العودة سريعًا، فقد كان متعبًا، ويريد الرجوع لنوارة ليعرف كيف يخلّصها من عذابها؟

كلمني خالد وحكي لي ماحدث كنا مقربين جدا اعتقدت انه يهذي لم اصدقه للاسف

رد عليها عادل هدئ من روعك يا ريم لا احد يصدق هذه الاشياء بسهوله

اكملي ياريم

بالفعل عاد إليها، ونادي عليها ظهرت له.

قال لها:

-لقد فكرتُ طوال اليوم، ووجدت حلاً، ولكن أريد منكِ بعض المعلومات التي ستفيدني.

-اسأل...

-أعرف أن سؤالي سيكون مؤلمًا، ولكن أريد أن أعرف، أين دفنتِ؟

أطلقت زفيرًا يحمل بركانًا من بين جنباتها، وقالت:

-دفنت هنا بتلك الغرفة، قبري تحت سريرك هذا.

انتفض خالد من مكانه، وقال حقًا آسف، وجلس على المقعد.

-لا تبالي، ليس ذنبك.

-وهل تعلمين أين السكّين؟

-نعم، تركها بجانبي، مازالت تؤلمني حتي اليوم.

-وأين ملابسكِ؟

-دفنت معي أيضًا.

-ماذا ستفعل؟

obeikan.com

-سأبلغ الشرطة.

-أخاف عليك يا خالد من بطش عزام.

-لا تخافي.

-ماذا ستقول للشرطة، أنا مدفونة منذ سنين، سيسألونك كيف عرفت؟

-لا تقلقي سأحضر كلبًا وأقول أن الكلب ينبش بالأرض وأنا أشك بوجود شيء مريب بغرفتي.

مرَّ يومان و أحضر خالد الكلب وأبلغ الشرطة، وجاءت ونبشت القبر و أخرجت جثتها.. وبدأت التحقيقات.. ذهل الناس من تلك الشابة، وبصعوبة تعرف الناس عليها من بعض الحلى، والملابس.. وكان عزام يغلي، ويترقب، ونفى أنه يعرف شيئًا عنها، وأنها هربت. قد يكون من هربت معه قتلها،

ولكن جاء تقرير البصمات قاطعًا.. أنه هو.

ذهبوا لإلقاء القبض عليه. وقف خالد يصيح: أترينـي الآن يا نوارة، قد أخذت بثأركِ اليوم رُدَّ شرفكِ، وسمعتكِ.

سمعه عزام وكان البوليس يحيط بالمكان، وهو متحصن بقصره لا يريد الخروج.. وفجأة باغته عزام برصاصة اخترقت صدره، فهوى علي الأرض يتلوى من الألم.. أمسكت الشرطة بعزام واستدعوا الإسعاف سريعًا.. وضعوا خالد بها، وأحاط به الجميع.. سمعوه هامسًا

«ياسمين حبيبتي أخيرًا أتيتِ»

ذهب اليها قاده مصيرة الي حب عمره

انه الحب يا ريم يفعل بنا العجائب قد يجعلنا نطير فرحا او نموت قهرا قد يكون المك هو ما جعلكي ترينـي دون غيرك منذ عشرات السنوات

نظرت له ريم وقالت الان دورك احكي لي قصتك

اعتدل عادل في جلسته، ثم أرجع رأسه للخلف، كأنه يلتمس الراحة من جدران كرسية،

وقال لها: بدأ الأمر في يوم كنت بالمحكمة، وكنت فرحًا بكسبي لقضية نزاع على أرض، وقد فاز موكلي وهو رجل بسيط فلاح، حاول أحد الإقطاعيين أن يسلب أرضه، وقد أرجعتها له وشكرني كثيرا، ووعدني أنه سيرسل لي أتعابي، وهي عبارة عن فطير وجبن وعسل من أرضه ما إن يستلمها فلم يكن يملك المال ليدفع لي. أنتِ تعلمين بالتأكيد في هذا الوقت كان الخير كثيرًا، والمال قليلاً ومن أين يأتي بالمال ورأس ماله قد سلب منه، لكني كنت فرحًا وكنت أمشي مع أصدقاء لي يمزحون معي، ويقولون إنني المحامي الذي لم يخسر قضية، وإنني محظوظ جدًّا، وأنا أقول لهم أنتم حساد، وسأعلق خرزة زرقاء من أعينكم.

وفجأة ظهرت امرأة لم أرَ يومًا في جمالها؛ بشرتها بيضاء تميل للحمرة لكنها ناصعة كأنها شفافة، وعيناها رمادية اللون تشع نورًا، وبياض عينيها مختلف رائق لا توجد به شائبة واحدة، لم أرَ لعينيها مثيلاً واسعتين مضيئتين كأنهما سهمان ينفذان للقلب، وشفتاها ممتلئتان ولونهما أحمر قانٍ كحبة فراولة في يوم حار، ممشوقة القوام لا بالطويلة ولا القصيرة، كل شيء فيها متوازن كأنها

مرسومة، ترتدي إيشارب أسود تخرج من تحته خصلات شعرها صفراء كقرص الشمس متمردة خصلاتها تلك فهي تتحرك كالموج مع خطواتها، وحركة فستانها الأسود وخطواتها المتمايلة. وقفت مشدوهًا أمامها وهي بين يدي حارستين من السجن تسحباها بقوة وعنف كأنهما يغاران منها، ولِمَ لا؟!!!

وهي أجمل من أن تكون حقيقة، نظرت إليَّ كأنها تناديني تركت أصدقائي ومشيت وراءها مسلوب الإرادة، دخلت لوكيل النيابة سألني من أنت؟

لم أستطع الإجابة،

قطع صمتي الحارسة التي سألتها

-هل معها محامٍ ؟

وجدت نفسي أصرخ وأقول أنا حتى هز صوتي المحكمة كاملة. دخلت معها شعرت بأن عطرها ملأ المكان، ضحكت لي لم أستطع أن أتحرك، قاطعني وكيل النيابة، هل أنت معها؟

قلت: نعم، سألني هل معك توكيل؟

لم أستطع الإجابة.

سألني ما اسم موكلتك؟

لم أعمل لهذا حسابًا، أنا حتى لا أعرف اسمها، همست لي: اسمي قمر،

قلت: نعم، وكيف لا يكون هذا اسمك، فهي أحق الناس بذلك الاسم. قلت له: نعم، أنا مع قمر أشار وكيل النيابة لكاتبه أن يبدأ التحقيق، قلت له: أرجو التأجيل لغد حتى أستعد ببعض الأوراق، وداخلي يقول: حتى أعرف تهمتها. ونفسي تحدثني: بالتأكيد كسرت قلوب الرجال، فما عساها تكون تهمتها؟!!!

أمسكت بها الحارستان وجرَّاها خارجًا، وكأنهما وحشان بلا قلب، خرجت خلفهم ناهرًا إياهما، نظرت لي إحداهما،

وقالت لي: أنتِ لا تعرف تهمتها، فمثلها يستحق الشنق كل يوم.

نهرتها وقلت لها أعينوك قاضيا وأنا لا أعرف؟!

رفقًا بها وإلا سأشكوك في عملك،

لم يعجبها كلامي كثيرًا. ردت السيدة الأخرى، ماذا تريد يا أستاذ؟

سأريحك أنا.

ابتسمت لها وقلت لها: أريد أن أتكلم معها دقائق قبل ترحيلها،

قالت لي: لك ما تريد، ولكن لن نتركها فأنت لا ترضى لنا ضررًا، أليس كذلك؟!

قلت: نعم، شكرًا لك.

نظرت إليها وكأني مغترب عاد إلى وطنه،

قلت لها: ما تهمتك ياقمر؟

ابتسمت لي فأضاءت لي حياتي، قالت بصوت يشبه الموسيقي: يقولون إني قاتلة.

فوجئت بتلك الاجابة لم أكن أتخيل أن تكون جريمتها أقصى من كسر قلب أحدهم لا أن تكسر ظفرًا، حتى قلت لها: ومن قتلتي؟

اعتلا الغضب وجهها، ولكنه لا يزال جميلاً.

قالت: لم أقتل أحدًا، هم يدعون عليَّ ذلك، أرجوك ساعدني كلمتها أسرتني، أحسست أني أسير لها منذ تلك اللحظة،

قاطعتها السجانة وقالت: يا سيدي هذه المرأة قتلت ثلاثة رجال بلا رحمة، وهذا ما نعرفة وما خفي كان أعظم. نظرت للسيدة كأنها مجنونة من تلك التي تقتل ثلاثة رجال؟!

هذه الملاك من الممكن أن تقتل آلاف الرجال بسهم من عينها، وتلك جريمة لا يعاقب عليها القانون.

قلت لها: من أي قسم أتيت؟

قالت من قسم الظاهر.

قلت لها: اذهبي معهم الآن، وسألحق بك لأطلع على الملف واطمئني فستخرجين بعد عدة أيام، براءة إن شاء الله.

قالت لي: روحي بين يديك، أنت أملي الوحيد، أنتظرك.

قلت لها: أنا عبدك منذ الآن.

هنا انهار عادل باكيا، اقتربت منه ريم وقالت له: اهدأ، لِم البكاء؟!

قال لها: لقد اشتريت لنفسي العذاب منذ ذلك اليوم، فقدت حياتي باختياري، اخترت العبودية عن الحرية، واستمر في البكاء. وقد أوشك الفجر على البزوغ، نظر لريم وقال: سأختفي الآن، وموعدنا غدًا في تمام الثانية عشرة منتصف الليل، واختفي في لحظات لم يترك لها وقتًا للموافقة أو الاعتراض. سمعت ريم تكة صغيرة من ناحية الباب تذكرت أنها سجينة غرفتها، جرت نحو الباب، حاولت فتحه ففتح بسهولة شديدة، فتنهدت وعادت إلى سريرها وهي في حيرة شديدة، ماذا تفعل؟!

obeikan.com

تحكي لأهلها أو تصمت، إن تكلمت اتهموها بالجنون وزاد قلق أهلها عليها.

جلست تفكر، ثم مرت أمها من أمام الغرفة، كلمتها أخرجتها من صمتها،

قالت لها: ريم حبيبتي أنا أرى أن تأخذي استراحة من الكتب ونخزنها الآن، وبعد فترة نعيدها للمكتبة.

صرخت ريم وقالت: لا أنا بخير يا أمي، فقط كنت أريد أن أصلي الفجر لا يوجد ما يقلق، أنا بخير، ثم أنا الآن بإجازة وليس عندي شيء آخر سوى القراءة ضحكت أمها،

وقالت: لن أغلبك أعرف ذلك. قالت ريم لأمها مداعبة إياها: الحمد لله أني أهوى القراءة، وليس شيء آخر، نظرت الأم نظرة صارمة وقالت: مثل ماذا إن شاء الله؟!

قالت ريم: البلاي ستيشن يا أمي، اوعي تفهمي غلط. مشت الأم متنهدة منها ،

وقالت: جيل مهبب. وهنا أخذت ريم موقفها لن تحكي لأحد ما حدث. أمضت يومها كاملاً تنظر للساعة منتظرة هبوط الليل بفارغ الصبر، مر اليوم ثقيلاً طويلاً عليها تنتظر أحيانا بشغف وأحيانا أخرى بخوف، تفكر أن تتراجع وتحكي لأحدهم،

وتعود وتقول: لا لن أقول لأحد.

ما إن جاءت الساعة الحادية عشرة حتى جرت إلى غرفتها، فأوصدت بابها عليها، تنظر حولها مترقبة ومرتعبة من أي صوت تسمعه تعتقد أنه ظهر.

دقت الساعة معلنة أن الليل قد انتصف، نظرت ريم للساعة وما إن التفتت حتى وجدته جالسًا فى نفس المكان، قال لها: أنا سعيد أنك تنتظرينى.

ردت عليه ريم: عندي فضول لأعرف سرك.

ضرب بيده على قدمه،

وقال: إنه الفضول ما أتي بي إلى هنا أرجوك احذريه؛ لأن عواقبة تكون أشد قسوة من الموت أحيانا. تعجبت ريم وقالت له: وهل يوجد أشد قسوة من الموت؟

قال لها: لن تفهميني إلا عندما أكمل قصتي.

رجع للخلف قليلاً، وقال لها: نكمل من حيث توقفنا ذهبت ورائها للقسم.

دخلت مسرعًا للضابط، عرفته بنفسي وطلبت الملف الخاص بها، قال لي: يا أستاذ قضيتك خاسرة لكنها جيدة من ناحية الشهرة؛ فهذه القضية ستكون الأشهر ببر مصر كله. لم أعرف لكلامه أهمية، وأخذت الملف وقرأت استعجبت: ما هذا، أحقًّا ما كتب بهذه الأوراق فعلاً؟!

هي متهمة بقتل ٣ رجال، وما أوقع بها أنهم رأوها مع الأخير قبل اختفائه مباشرة وبعد القبض عليها تعرف عليها آخر: إنها أيضا! كانت مع ضحية أخرى قبل اختفائه منذ شهرين.

أغلقت الملف وأنا غير مصدق، متأكد أن هذا الملاك لا يفعل ذلك. اجتاحتني الحيرة ماذا أفعل؟!

لم أكن أرى بعيني ولا بخبرة سنوات عمري في القانون، بل كنت أرى بقلبي قلب العاشق، ستتعجبين إن قلت قلب عاشق، وأنا لم أراها سوى دقائق، ولكن بالفعل هذا ما شعرت به كأنني مسلوب الإرداة مسحور، وإن لم أكن أصدق في أمور السحر والشعوذة ولكني كنت كذلك.

طلبت من الضابط أن أقابلها منفردة لأسمع منها، وتعطيني توكيلاً بالدفاع، وافق

وقال لي: احذر فهذه المرأة ساحرة فقلت: نعم لقد رأيتها، من يصدق؟!

قال: لا أقصد ساحرة الجمال، أقصد أنها تسحر الرجال وكأنها تنفذ إلى قلوبهم. واجهنا العديد من المشكلات منذ وصولها، كاد اثنان من حراسها أن يفكا أسرها ويتركانها تهرب؛ لولا تدخل القدر لذلك عينا عليها حرسًا من النساء فقط.

تركني الرجل وخرج، أنا في حيرة، ما هذا الذي يقوله؟!

بالتأكيد هم فتنوا بها مثلما فتنت أنا. إن ما يقوله رجل الشرطة عن السحر والشعوذة خرافات.

قاطع تفكيري طرق الباب ودخولها، يا ويلي تلك المرة الثانية التي أراها فيها اليوم، ولم يقل انبهاري بها ولو قليلاً، ما زلت أراها أجمل امرأة قابلتها في حياتي، أنا من تعلم بالخارج سافرت إلى انجلترا ورأيت الجميلات في كل مكان، وزميلاتي وأقربائي لم أكن رجلاً قرويًّا يرى امراة لأول مرة لكي يسلب لبه هكذا،

أجلستها أمامي، وقلت لها: احكي لي كل شيء، من أنتِ؟

وأين أهلك؟

ومن أين أتيتي؟

وأين تسكنين، ومع من؟

اسمي قمر عبد الله، وهذا كل ما أعرفه عن أهلي، ربيت يتيمة في ملجأ، عمري عشرون عامًا من العذاب، هربت من الملجأ منذ ثلاث سنوات، ومنذ تلك اللحظة وانا أتنقل من عمل لآخر ومن مسكن لآخر.

قال لها: ولِمَ هربتي منه في الأساس؟

ردت: كانوا يكرهونني، البنات والمشرفات، الجميع كرهني لجمالي الذي ليس لي يد فيه، لم يحبني فيه أحد إلا أبلة نجاة، ومنذ ماتت تحول الملجأ جحيمًا لا يحتمل، هي من أسمتني باسم قمر، كانت مثل أمي، وإن لم أكن أعرف معنى حب الأم، لكنني شعرت معها بالأمان والدفء في حضنها والحياة في ابتسامتها، عندما كنت أحكي لها أي شيء كانت تنصت لي بالساعات، ووجهها لا تفارقه الابتسامة، وتحوطني بذراعيها، لأشعر أني ملكت العالم كله في صدرها.

اشتعل قلبي من كلامها، ولكن تغلبت على مشاعري، وسألتها: وما الذي أتي بك إلى هنا؟

هم يكرهونني؛ لذلك لفقوا لي التهم.

من هم؟

الناس وجيراني كانوا يغارون على أزواجهم مني، فرموا بي هنا.

قلت لها: قرأت في ملفك أنك آخر من رأوها مع على بك قبل اختفائه.

أنا لا أعرف اسمه.

ماذا كنت تفعلين مع هؤلاء الرجال؟

أخبريني أرجوك ما أتخيله يقتلني، أرجوك انفيه، كذبي ظني قبل أن تهوي بي في هاوية لا قرار بها.

لم أكن أفعل شيئًا، صدقني هذا الرجل قابلته في ليلة قبل أن يتم القبض عليَّ بثلاث ليال، كنت متعبة من العمل، وقابلني ثم عرض عليَّ أن يوصلني بحنطوره، فلم أستطع الاعتراض، كانت درجة حرارتي مرتفعة، وأوشك أن أسقط مغشيًا عليَّ.

ماذا كنتِ تعملين يا قمر؟

عملت في الكثير من الأعمال، ولكني لم أكن أطيل العمل عن بضعة أيام.

لماذا؟!

لطمع المعلمين بي، ورغبتهم في إرغامي على معاشرتهم، وأفضلهم يريد الزواج مني، فكنت أفر هاربة.

ولماذا لم تتزوجي أحدهم ليرحمك من بهدلة الشوارع والحاجة إلى الغير؟

لم أستطع لم أكن أطيق أن أرى وجوههم، فكيف أعاشرهم طوال العمر. وأبلة نجاة

قالت لي: يا قمر الزواج صعب فلا تتزوجي إلا من يدق له قلبك.

وكيف كنتِ تعيشين؟

كنت أعمل أحيانًا وأصرف أيامًا من الأموال التي أعطتني إياها أبلة نجاة قبل موتها، فهي لم تنجب وطلقها زوجها ورماها بالشارع بعد موت أهلها، وأزواج إخوتها لم يكن أحد منهم يطيق أن تعيش معه لتململ زوجاتهم منها، وشكواهم من ضيق الحال، وأن أولادهم أولى بالمال الذي ينفقونه عليها. فذهبت إلى دار الأيتام عملت بها نظير مال قليل ولكنها كفلت لها حياة كريمة ومأوى ومأكلاً

وملبسًا، وإرضاء لرغبتها أن تكون أمًّا، فكانت تعتبر جميع الفتيات بناتها ولكنها كانت تعاملني معاملة خاصة إذ كنت الأقرب إلى قلبها فأورثتني مالها عندما شعرت بأن الأجل دنا منها، وكنت لا أقترب منها إلا للضرورة القصوى، فقد كانت جنيهات معدودة حتي نفدت، ولكن الله كان بي رحيمًا، فعملت في محل رجل ضرير يبيع الجاز، ومنذ ذلك الحين وأنا مستقرة بعملي، ولكنه عمل شاق فطوال اليوم أحمل البراميل والجراكن، لكنه أفضل من الذئاب الطامعة في الشوارع والأعمال الأخرى. وفي يوم كنت خارجة من عملي كالعادة وكنت أعاني نزلة برد شديدة، وحرارتي مرتفعة، قابلني هذا الرجل وكان رجلاً طيبًا، عرض عليَّ أن يوصلني فقبلت من شدة تعبي.

وماذا حدث بعد ذلك؟

أوصلني لباب بيتي وغادر، لم أره مرة أخرى، وإن رأيته فلم أكن لأعرفه؛ فقد كنت مريضة كما قلت لك وأهذي.

بادرتها متسألاً: وما كان حواركما، وكيف لا تعرفين اسمه؟!

أمسكت يديها، وقلت لها: أرجوك ساعديني لأخرجك من هنا

قالت له: شكرته ومنذ صعدت للحنطور، وأنا كنت شبه نائمة من التعب، لم نتكلم إلا أني وصفت له بيتي فقط، كنت تعبة ورأوني الجيران، واتهموني بأفظع التهم ولم ألتفت إليهم، كنت تعبة، دخلت بيتي وأغلقت بابي للصباح، وبعد عدة أيام وجدتهم يقبضون عليَّ بتهمة قتل هذا الرجل.

والآخرون قالوا إنهم رأوك معه.

ردت بغضب: لا أعرفه، هم يكرهونني، ويلقون عليَّ كل تهمهم العالقة. ثم نظرت إليَّ وقالت: أرجوك أنت أملي الوحيد لا تتركني.

أمسكت بيدها وقلت لها: لن أتركك ما حييت.

أتعدني بذلك؟!

طبعًا.

ربتت على يدي، وأنا أيضًا لن أتركك حتي بعد موتنا، حتي لم أفهم كلماتها، ولكني شعرت أنها شعرت نحوي مثلما أشعر أنا نحوها.

ريم: وماذا حدث بعد ذلك؟

سأحكي لك كل شيء، مرت الأيام وأنا أذهب إليها كل يوم، تركت كل القضايا من أجل قضيتها. شهور وأنا أحاول إثبات براءتها لأنه لم يكن هناك دليل سوى رؤيتهم سويًّا قبل الاختفاء فقط.

لم أصدق يومًا أنها تقتل ثلاثة رجال، وتقطع منهم أجزاء أيضًا، وما يربط بين الجرائم اختفاء القلب من كل جثة، لم أصدق أنها قادرة على ذلك، حتى جاء يوم النطق بالحكم ومرافعتي الأخيرة دافعت عنها باستماتة أوشكت على البكاء، والغريب أنها لم تبك يومًا منذ عرفتها ولا حتي في تلك الجلسة، وقام القضاة للمداولة،

ومـرت الدقائـق كأنهـا سـنوات وأنـا أنتظـر حكمهـم كأنـه حكـم حياتـي،

ورجـع القضـاة وجـاء الحكـم صاعقًـا بإحالـة أوراقهـا للمفتـي، فانهـرت أوشـكت أن أسـقط مغشـيًا علـيَّ مـن شـدة حزنـي، جريـت إليهـا وكانـت متماسـكة، ولـم تبـكِ حتـي طمأنتهـا أن هنـاك نقضًـا، صرخـت بالقاضـي كيـف تحكمـون بذلـك لا يوجـد دليـل سـوى شـهادتهم برؤيتهـا معهـم فقـط. ولكـن كانـت القضيـة قـد تحولـت إلـى قضيـة رأي عـام؛ لأن علـى بيـه كان مـن أعيـان البلـد، وكانـت زوجتـه قريبـة مـن زوجـة الملـك أيامهـا،

وكثـرت الشـائعات والفضائـح وقـرروا أن ينهـوا هـذه المحاكمـة بأسـرع وقـت ممكـن، فـلا وقـت ليضيعـوه فتكثـر الشـائعات؛ ممـا يؤثـر في سـمعة أبنـاءه وبناتـه ممـن تربطهـم بالعائـلات الكبيـرة نسـب ومصاهـرة. يجـب أن تعـدم القاتلـة أو تقتـل حتـى إن لـزم الأمـر فـلا يقـول النـاس مـا كانـت علاقتهـا بـه، وكيـف عـرف فتـاة من الشـارع على ابنة الحسـب والنسـب، لا يوجـد مـا يثبـت أنهـا قتلتهـم، ولكـن يجـب أن تقتـل حتـى يسـدل السـتار علـى هـذه الحكايـة وينتهـي الأمـر.

ذهبت إليها آخر الجلسة وهي في قفص الاتهام، قلت لها: لا تقلقي لا يوجد ما يدينك أو يثبت قتلك لهم.

ربتت على كتفي وقالت: أثق بك في النقض لا تخذلني؛ فأنا ربطت نفسي بك، كانت كلماتها تزيد عذابي أكثر. تنهد عادل كأن نارًا تتوهج بصدره.

قالت له ريم: إن كنت تعبت نكمل لاحقًا؟!

قال لها: لا سنكمل، سهرت ليل نهار أقرأ، استعنت بالجميع حتي إنني راسلت أساتذتي بلندن أستنجد بهم؛ فقد صرت شبه مجنون، قدمت نقضًا ورُفض صار الحكم نهائيًّا لم أستطع إنقاذها.

ارتجف عادل في مكانه، ثم قال لريم: أرجوك تحمليني.

ريم: لا بأس، أنا أسمعك.

جاء يوم النطق النهائي بالحكم ظللت أبك طوال الجلسة وأنا أنظر إليها، لكنها لم تبك ولا دمعة واحدة. قرأ القاضي حكم المفتي بإعدامها لم يكن لي حيلة، كان الحكم قدر صدر حتى قبل أن يفتح القاضي الملف كانت

ستموت لا محالة لم تكن قدماي تحملني ودعتها على وعد بلقاء.

رجعت لبيتي وكنت كمن حكم عليه بالإعدام، ارتميت بسريري، لم أحرك ساكنًا.

طلبت زيارتها، كنت أذهب فقط لأرتمي تحت قدميها، وأبكي وأطلب سماحها فقط، وهي تصبرني

وتقول: إننا لن نفترق أبدا. وجاء يوم أسود أرسل لي خطاب بموعد تنفيذ الحكم لأنني المحامي الخاص بها، ولم يكن لها أهل.

ذهبت قبلها لتوديعها كنت منهارًا لا تحملني قدمي، قالت لي: إنه الوداع، أليس كذلك؟

لم أستطع الرد، أومأت برأسي فقط أن نعم.

قالت: سأطلب منك ثلاث طلبات أرجو أن تحققها لي، لا تخذلني مرة أخرى، فأنا أثق بك.

أي شيء تطلبينه فسأنفذه.

هذا وعد منك، ووعد الحر...

رددت وقلت لها: دين عليه.

قالت: لا، بل وعد الحر يحاسب عليه.

قلت لها: كما تريدين حتى إن طلبتي عمري فهو لك، روحي لن أبخل بها عليك أفتديكِ بها.

قالت: أنت من قال، ويجب أن تنفذ قسمك هذا.

لم أكن أعي أن ما أقوله هو قسم ولاء مقدس، سأدفع ثمنه كاملاً.

قالت: أولا أريدك أن تأتي تنفيذ الحكم.

قلت لها: لا أقدر.

أنت قلت أي شيء ستحققه لي.

هذا عذاب.

قالت: أرجوك أريدك إلى جواري.

أومأت برأسي موافقًا.

obeikan.com

الطلب الثاني: سأعطيك ورقه تتبع ما بها حتي لا نفترق.

أتريدين الهروب؟!

ضحكت وقالت: ليس ذلك لا تتعجل.

وطلبي الأخير: أن تدفني في مقابر عائلتك، لا أريد أن أدفن بمقابر الصدقة، لا أريد أن أكون مجرد جثة بلا قبر معلم، يجب أن تعلم أين قبري لتزورني، أم أنك لن تزورني؟!

طبعًا سآتي إلى قبرك، ويلي كيف سأتحمل هذا الفراق؟

كيف سأعيش من بعدك؟!!

لا تبكِ أرجوك، وعدتك ألا نفترق، وأنا أفي بوعودي سآتي لك لا تقلق.

دخل العسكري معلنًا نهاية الزيارة وكأنه أعلن نهايتي، كان كل منا يجر إلى الخارج جرًّا كل إلى وجهته، هي إلى آخرتها وأنا إلى عالمي، وشعرت يومها أننا أبدلنا الأماكن

لنكمل بعض، فأصبحت أنا جسداً بلا روح وهي روح بلا جسد .

وقد كان التنفيذ باليوم التالي، لم أنم لحظة ذهبت لها أنتظرها أمام الغرفة المشئومة، جاءت ماشية في ثبات مثل اليوم الذي رأيتها لأول مرة واثقة جميلة حتي في آخر لحظاتها .

دخلت إلى الغرفة، تلا الشيخ الشهادتين وسألها إن كانت تريد شيئًا أن ينفذ قبل الحكم، قالت: نعم أريد أن يقترب مني المحامي الخاص بي، أريد أن أعطيه شيئًا خاصًّا اقتربت منها فأعطتني ورقة.

وقالت: لا تنساني، ولن أفارقك، غطوا وجهها بذلك الغطاء الأسود وأوقفوها على طبلية الإعدام، قيدوا يدها وراء ظهرها وقيدوا قدمها أيضا بحبال غليظة خشنة، وسحب عشماوي السكينة فتدلت من فورها معلقة بالهواء أعدموها في لحظات. القَتَلَةُ بلا رحمة، أغشي عليَّ وعندما فقت وجدتهم قد كشفوا وجهها وهي لا تزال معلقة مفتحة العينين، كأنها لا تزال حية وخصلات

شعرها تخرج كنور الشمس متمردة من تحت إيشاربها الأحمر، زادها الأحمر لون الموت حسنًا على حسنها حتى أن كل من حضر يقسم أنه لم ير أحدًا قد أعدم من قبل إلا خرج لسانه أو جحظت عيناه، إنما هي كما كانت جميلة كأنها تنبض بالحياة لدرجة جعلت مأمورًا السجن يستكشف نبضها بنفسه بعد أن كشف عليها الطبيب، وأكد وفاتها.

حملها الحراس، وكان الحانوتي ينتظر بالخارج، أعطوها له وأنا أعطيته عنوان مدافن أسرتي وأعطيته مالاً كثيرًا،

وقلت له: اعمل كل ما يلزم أريدها أن تحظي بدفن لائق، لا أريد أن ينقصها شيء.

وصلنا للمقابر، وأنا بقايا إنسان لم يكن أحد موجود إلا أنا والحانوتي ومساعديه والتربي، أدخلوها غرفة الدفن.

لـم أسـتطع أن أنتظـر دقيقـة دخلـت وراءهـا قبلتهـا بجنـون حتـي إنهـم أبعدونـي بالقـوة عنهـا، فهـذا غيـر لائـق حتـي لـو كانـت زوجتـك وأخرجونـي مـن المقابـر، وأهالـوا عليهـا التـراب.

لا أعرف كيف رجعت لبيتي؟

كنـت كاليـت ظللـت شـهورًا لا أبـارح بيتـي، حتـى إن كل مـن حولـي تيقـن أننـي جننـت. أهملـت كل شـيء، فقـد كرهـت الحيـاة مـن دونهـا. ثلاثـة أشـهر لـم أشـعر بنفسـي ممسـكًا تلـك الورقـة لـم أسـتطع فتحهـا، كنـت أشـعر أنهـا سـتلومني، سـيكون كلامهـا ذابحًـا لـي لـم أسـتطع، وفي يـوم مـن الأيـام تجـرأت وفتحـت تلـك الورقـة وجـدت بهـا عنوانًـا قالـت لـي: اذهـب إلـى هـذا العنـوان افتـح الـدولاب، وهنـاك سـتجد عشـر برطمانـات اجمـع مـا فيهـا واحرقـه، واقـرأ كل مـا كتـب علـى البرطمانـات الواحـد تلـو الآخـر بالترتيـب مـع الرمـاد وانثـره علـى قبـري ثـلاث ليـالٍ

إيـاك والخطـأ، لا تنسـى أنـك أقسـمت علـى حمايتـي، وقـد فشـلت في ذلـك للمـرة الأولـي كمـا أنـك أقسـمت علـى تحقيـق طلبـي بحياتـك.

افعل ذلك لأعود لك كل ليلة حتي بعد أن أموت. ثق بي كما وثقت بك. تعجبت، لكني ذهبت بلا تردد كنت أريد ان أصدق أنني سوف أراها ثانية،

دخلت إلى المنزل المهجور والمرعب أيضا فهو مغلق بالشمع الأحمر من يوم أن قبضوا عليها، فتحت الباب دخلت إلى الغرفه ففتحت الدولاب الخاص بها، وجدت ملابسها أمسكت بها شممت عطرها فيها حتى مع مرور الوقت لم يتغير العطر، ولم يتغير سحري به، تذكرت ما جئت من أجله بحثت عن تلك البرطمانات وجدتها مغطاة بمفرش خلف الملابس يفصلها عنها قطعة من الخشب الأبلكاش بلون الدولاب قلت في نفسي لذلك لم تجدها الشرطة في أثناء تفتيش منزلها، ولكن لماذا هذه الخزانة السحرية؟

ماذا تخبئين يا قمر؟

وعندما رفعت الغطاء وجدت ما لم أكن أتخيله أو أتوقع؛ وجدت بها قلوبًا!!!

نعم، إنها قلوب آدمية، عشرة قلوب...

ويلي ما هذا جريت خارجًا من البيت، تقيأت ثم ذهبت لمنزلي أنتفض ما هذا؟!

إنها قاتلة فعلاً، وليس ثلاثة فقط وإنما عشرة كيف ذلك؟!!

ذرعت الغرفة ألف مرة، ماذا أفعل؟!!

وجدت ورقتها بجيبي تذكرت وعدي، انتظرت بزوغ النهار ثم رجعت للبيت، قتلني الفضول قلت: سأفعل كل ما قالت من الممكن أن أفهم لماذا فعلت ذلك؟

وكيف أن هذا الوجه الملائكي يكون قاتلاً، وكيف خدعتني وأنا رجل القانون المحنك، بل خدعت الكل أم كان القاضي يري ما لم أكن أراه أنا بعين العاشق؟!

أجابني قلبي قائلاً:

وعلى كل حال لقد عوقبت على ما فعلت، لن يقتلوها مرتين لكني أريد أن أفهم؟

افعل ما قالت لتفهم ما أخفته عنك.

هكذا أقنعني قلبي.

أخذت البرطمانات الواحد تلو الآخر، أشعلت النار في غرفتها كما قالت لي، والغريب أني وجدت كل شيء معدًّا إناء كبير به خشب، وزجاجة صغيرة من الجاز، وعلبة كبيرة من البخور، كأنها كانت تعد لهذا اليوم.

أشعلت النار وانتظرت إلى أن توهجت وأصبح لهيب النار أحمر يميل للزرقة، وضعت البرطمان الأول وقرأت ما عليه، ما هذه الكلمات؟!

ما معنى: أيها الظل الكبير، والملك العظيم، جئتك اليوم بفداء العام هذا القلب الأول قبل أن يفسد ليقيم العظم والقيتة بالنار،

وفتحت البرطمان الثاني وقرأت ما كتب عليه: وهذا القلب الثاني ليقيم ما فسد من عرق ووريد، والغريب أن رائحتها لم تكن مقززة بل رائعة عطرة مثل عطرها ملأت المكان،

وأحضرت البرطمان الثالث وقد كتب عليه: هذا القلب الثالث ليجري بك مجري الدم،

وأحضرت الرابع وقد كتب عليه: أما القلب الرابع ليخلط الماء بالدم فلا الدم يصلح من دون الماء، ولا الماء يصلح من دون الدم،

وأحضرت البرطمان الخامس وقرأت ما كتب عليه: وقد تغيرت لون النار فجأة لتصير حمراء بلا لهب، كأنها صورة وألقيت بها القلب، وقرأت: القلب الخامس يا سيدي هو قلبك فقد اخترته بعناية لك، ولكن هذا القلب لم يحترق فانتابني الرعب لوهلة ولكني قلت سأكمل لن أتوقف الآن،

وأحضرت القلب السادس ووضعته بالإناء فاحترق وكتب على البرطمان: هذا القلب السادس إنه الجلد وعاء الجسد.

وأحضرت السابع وكتب عليه: أما القلب السابع فهو الرأس حتى تكتمل سيدي. وهنا تغير لون النار فصارت زرقاء شديدة الزرقة،

وضعت القلب التامن وكان مكتوب عليه هذا لعنتي ولعنتك واشتدت النار توهجا واقترب اللهب من سقف الغرفة ثم هدأ

ووضعت القلب التاسع الذي كتب عليه وهذا قلب العين ولم يحترق بل تحولت النار إلى اللون الرمادي، وأكاد أجزم أنني رأيت عينيها فيها نفس اللون نفس الوميض الساحر

وبقي قلب واحد كتب عليه هنا يهب الجسد وتعود الروح غير مكتملة وقفت دقائق أفكر، ماذا أفعل؟

هل أحضر عفريتًا، هل وصل بي الحال إلى هنا؟

هل أتوقف الآن؟

لكني لا إراديًّا وضعت القلب العاشر بالنار، كان هناك من يحرك يدي وفجأة انطفأت النار بلا مقدمات وأصبح الرماد باردًا كأنه لم توقد نار به منذ عام، جمعته ووضعته ببرطمانات ثلاثة كتب على كل منها اليوم الأول، والثاني، والثالث، وكل منها في قاعه مسحوق مختلف لونه، لا توجد

لـه رائحـة، ولـم أهتـم أن أعـرف مـا هـو، خرجـت سـريعًا مـن المنـزل، بعـد أن تأكـدت أنـه لا يوجـد أحـد يرانـي مـن الجيـران، فقـد قـارب الفجـر علـى الآذان، وسـيخرج النـاس بعـد قليـل للصـلاة بالمسـجد، والذهـاب إلـى أعمالهـم وغيـرت طريـق بيتـي أكثـر مـن عشـر مـرات، لا أعلـم!!

كنـت أشـعر أن أحـدًا يراقبنـي مـع أننـي كلمـا التفتـت لا أجـد أحـدًا.

وأخيـرًا وصلـت إلـى منزلـي كان التعـب قـد فتـك بـي، ونمـت كالميـت بضـع دقائـق لكـن هاجمتنـي الكوابيـس كالوحـوش الكاسـرة، فرأيـت الدمـاء تغطـى يـدي، وكلمـا حاولـت تنشـيفها زادت الدمـاء حتـي إننـي أوشـكت على الغرق بهـا، ورأيـت نظـرات الانتقـام تكمـن في عيـون عشـرة رجـال يحاوطننـي مـن كل مـكان، يريـدون الفتـك بـي والدمـاء تعلـو مـن حولـي، وصرخـات أطفـال اليتـم تمكـن منهـم ونظـرات الأرامـل وصراخهـن يحاوطنـي، حاولـت أن أسـتيقظ فلـم أسـتطع، كنـت كمـن يغـرق ويصـرخ ولكـن لا يسـتطيع صوتـه الخـروج، ولـم يتبـق لـي إلا لحظـات علـى المـوت.

فجأة أفقت على صوت نقرات على الباب، كان الطارق خالد صديقي فتحت له الباب سألني ما بك يا محمود؟

قلت له: فقط كابوس، ولكني شعرت به كأنه حقيقي جدًّا.

هدأني وطمأنني وأخذ يحكي لي عن يومه بالمحكمة، وعن تلك الفتاة التي يحبها سندس، وأنه يشعر بالقهر كلما زاد تعنت أهلها ورفضهم له، حتي بعد أن هددتهم سندس بالانتحار إن لم تتزوجه، فهي تعشقه مثلما يعشقها. وكنت أنا في عالمي أفكر ما لهذه الحياة قاسية علينا كلما أحب أحدنا شخصًا باعدت بينهما وفرقتهما بلا رحمة.

إذن، لماذا يكتب علينا العشق ما دام الحرمان قدرنا؟!

وهل ما نفعله من جرائم في سبيل هذا العشق تغتفر؟

نعم، لقد فعلت جريمة شاركت بها وتسترت عليها، ولكن أنا لم أكن أعلم أنها قاتلة إلا بعد موتها، وهي عوقبت على قتلها لرجلين ولو كانوا عشرة ما اختلف الأمر كثيرًا لن يعدموها ألف مرة. إذن، أنا لم أتستر

عليها فعليًّا، ولكني مارست سحرًا ولا أعرف حتى ماهيته ولا إلى أين يقودني أإلى سعادتي أم إلى عذابي أم إلى جنوني؟!!

هممت أن أصرخ لأخرج ما في قلبي، لكن وجود خالد منعني وأخذت أسمع نصائحه من أنه يجب أن أعود لنفسي ولعملي وألا أستسلم للحزن، ومرت ساعة وأنا أفكر لِمَ لا أرضى بنصيبي من فراقها، وأبتعد وأتخلص من تلك البرطمانات الثلاثة ولا أضر أحدًا، فهي تحمل غيبًا أنا أخافه جدًّا، لا أعلم عن عالم السحر شيئًا، ولا طاقة لي به.

إذن، سأنسحب. دق الباب ثانية ولكن هذه المرة محمد ابن عم سندس التي يحبها خالد، ومحمد يعلم بحبه لها ويشجعهما ويقف معه ضد عمه وقسوته وما إن فتحت له الباب، وكان وجهه شاحبًا والدموع تملأ عينيه والحزن كهالة حاوطته سألته: ما بك؟

سألني هل خالد عندك؟

قلت: نعم بالداخل.

دخل يجر قدمه، عصية هي خطواتنا لا تطاوعنا على المضي إن كان يثقلها الألم، وتترنح أقدامنا في طريق أجبرنا عليه، وما إن التقي خالد حتي تحولت تلك الدموع المكتومة إلى بكاء مرير بلا كلمات، كاد قلب خالد أن ينخلع فقد شعر بما يحمله له محمد، وتأكد أنه خبر سيئ عن سندس،

وسأله صارخًا: ماذا حدث لها؟!

قال له حدد اليوم موعد كتب كتابها على عريس قد تقدم له ووافق عليه.

صرخ خالد: هل تزوجت سندس؟

يا ويلي!

حبيبة العمر.

قال خالد: لا، يا ليتها تزوجت يا ليتها!!

ارتعشت قدم خالد وجلس على الكرسي وقال: يا ليتها!

لماذا؟

ماذا حدث لها؟

ماتت ماتت سندس يا خالد!

ماتت، كيف ذلك؟!

أرجوك قل إنك تكذب.

يا ليتني كنت أكذب؛ فقد هددت بإشعال النار في نفسها، وبالفعل أغرقت جسدها بالجاز.

سألته أنا، وماذا حدث بعد ذلك؟

قال محمد: أشعل أبوها فيها النار.

قلت: يا له من وحش!

كيف فعل ذلك بابنته؟

قال لها: هل تريدين أن تحترقي، إذن سأحرقك، ولن تكوني له.

صرخ خالد: أنا السبب، أنا من كنت سببًا في قتلها.

obeikan.com

لم أكن أصدق ما يقوله أحمد كيف يقتل أب ابنته بهذا البرود، ولكن اتضح بعد ذلك أن فعلة سندس وتهديدها المستمر زرع في قلب أبيها الشك فيها، وأنها على علاقة آثمة بخالد، ولم يكن هذا موجودًا قط بل كان حبًّا بريئًا، قتلته بذور الكراهية والجهل العمياء، طبعًا خرجنا جميعًا مع خالد الذي طار كالمجنون على بيت سندس ليجد أباها أمامة ويشتبك معه أمام جثة حبيبته التي يهم الناس لحملها إلى مثواها الأخير، ويقف الركب لمحاولة فض هذا الاشتباك ليفجأنا خالد أنه استل طبنجته المرخصة من جنبه، ويخرج رصاصة تستقر مباشرة في قلب أبي سندس ليسقط بجوار ابنته غارقًا في دمائه والناس تشاهد في ذهول ولا تصدق ما يحدث حولها حتي أنا.

مرت أمامي لحظات من الصمت وخالد يجلس أمام جثة سندس يحاول إفاقتها بلا فائدة ليكشف عن وجهها ويجده محروقًا ومشوهًا بشكل بشع، فلا يستطيع تحمل المنظر ليطلق رصاصة أخرى، ولكن هذه المرة تستقر بمخه معلنة نهاية شديدة المأساوية لقصة حب كان من الممكن أن تكلل بالنجاح لولا تعنت الأب، ولكنها انتهت بثلاث جثث كل منهم ضحية شيء ما.

عدت إلى بيتي لا أصدق ما حدث منذ أربع ساعات، كان خالد بجواري يناشدني الصبر، ويقنعني أنه وسندس مهما طال الوقت هم لبعضهم البعض حتي لو اضطر أن يخطفها ويتزوجها مازحًا معي، وأنني يجب أن أكمل حياتي، وفي بضع ساعات ملابسي يملؤها دمه وحذائي ممتلئ بتراب قبره.

دخلت لآخذ حمامًا لعلي أنام وأصحو، قد أكون نائمًا الآن، وما يمر بي إنما هو كابوس حقيقي لا يقل عن كابوسي الذي أيقظني منه خالد ليدخلني بكابوس آخر أقوى منه، وتسللت المياه على جسدي لتأخذ معها ألمي شيئًا فشيئًا تحمله معها لتخلصني من بعض عنائي، ثم انتهيت من حمامي.

وخرجت فأويت إلى سريري، وجدت البرطمانات الثلاثة أمامي كأنها تريد مني جوابًا هل سأكمل أو أبقى كما أنا؟

استغرقت في النوم ساعة واحدة، واستيقظت والشوق يملؤني للقاء قمر، لم أفكر ارتديت ملابسي وأخذت البرطمان الأول وتوجهت إلى مقابر العائلة، كان الليل في بدايته والتربي يصلي العشاء فلم يرني عندما دخلت إلى الحوش الذي أحمل مفتاحه معي دائمًا.

نثرت الرماد على شكل نجمة بداخل دائرة، ووضعت في المنتصف البرطمان بعد أن أشعلت شمعة، وثبتها بتلك المادة الموجودة أسفل البرطمان، وشعرت بأن ضوء الشمعة ما إن دخل البرطمان حتى بدأ يتوهج ويزيد، وقامت من حولي رياح شديدة البرودة تحاوطني من كل مكان. كانت تعليماتها ألا أمشي إلا بعد أن تحترق الشمعة بالكامل، وتحرق ذلك السائل حتي لا تنطفئ بعد مغادرتي، ولا يحدث المراد. وبالفعل بقيت حتى احترقت المادة محدثة لهب كثيفًا باللون الأخضر، وهو لونها والغريب أن البرطمان رغم هذه الحرارة لم ينفجر كأي زجاج عادي، وانطفأت النيران فجأة أيضًا، ودفنت البرطمان كما قالت عند رأسها.

وهأنا الآن قد فعلت مثلما قالت حرفيًّا، وتركت المكان والساعة تدق العاشرة تمامًا. مشيت إلى بيتي ونفس شعوري بملاحقة أحدهم لي قائمًا، ولكني لا أجد أحدًا خلفي، وفي اليوم الثاني خرجت في نفس موعدي لأحرص أن أكون هناك عند موعد صلاة العشاء ليكون التربي بالمسجد فلا يراني دخولاً أو خروجًا. نثرت الرماد على شكل نجمة داود فقط اليوم لا توجد دائرة، وأشعلت الشمعة وانتظرت بجوارها وهبت الرياح، ولكن اليوم الرياح دافئة حاوطتني ولم تطفئ الشمعة، احترقت وتحولت للون الأحمر مثل المادة التي يحويها البرطمان، دفنته بجوار قدمها اليمنى مثلما كتبت لي بالتفصيل، وخرجت وظلي يلاحقني لم ألتفت سوى أربع مرات فقط هذه المرة؛ فصرت أعرف أنه لا يوجد أحد ولكن التفاتي مان خوفًا من أن يكون أحد سكان المقابر رأني فيراقبني، أو أثير في روحه شك مني وانتهيت أيضًا على دقات ساعتي العاشرة ليلاً، ونمت هذه الليلة عكس الليلة الماضية.

لـم أغفـل سـوى لحظـات متفرقـة، وجـاء اليـوم الثالـث خرجـت بموعـدي أحمـل برطمانـي الأخيـر، ودخلـت خلسـة ومـا إن انتهـت الصـلاة حتـي رسـمت بالرمـاد، لكـن رسـمة اليـوم عروسـة فتـاة كنـت أتخيـل قمـرًا وأنـا أرسـمها حتـى انتهيـت. أشـعلت شـمعتي وهبـت ريـاح سـاخنة تـكاد تكـون حارقـة حتـى إننـي لـم أكـن أسـتيطع فتـح عينـي مـن شـدة تعرقـي، واحترقـت واليـوم المـادة لونهـا أسـود قـاتم، ثـم دفنـت البرطمـان جهـة قدمهـا اليسـرى، وخرجـت وقـد شـعرت هـذه المـرة بـأن أحـدًا خلفـي فالتفتـت فوجـدت التربـي أمامـي، ارتعـدت أوصالـي،

ماذا سأقول له الآن؟

ما الذي أتي بي إلى هنا؟

وجدتـه يربـت علـى كتفـي، ويقـول لـي الفـراق صعـب يـا ولـدي، ولكـن قبـر حبيبتـك ملعـون فـلا تأتـي إلـى هنـا وحـدك ثانيـة.

ماذا تقول ما معنى ملعون التي تعنيها؟

قالي لي: يا ولدي ليه أربعين سنة عايش في الترب دي أبا عن جد، تربي وعارف أنا بقولك ايه، كنت طول عمري خايف أقابل القبر الملعون اللي حكالي عنه جدي بس زي ما بيقولوا اللي بيخاف من العفريت بيطلعله، قبل آخر عمري جيت انت ودفنت البنت دي ومن يومها وانا عرفت معنى اللعنة وشفتها بعيني، ولكني محافظ على العهد ساكت زي ما جدي قال ابعد عن أذاه يبعد عنك.

مش فاهم حاجة؟ انت تقصد ايه؟

يا ابني أنا عارف وأنت عارف إن البنت دي مش طبيعية مش زي بقية الموتي، انا وانا بدفنها حسيت بكدة جسمها طري مش مخشب زي الموتي التانين تحس انها لسه عايشة انا شفت نبضها ٣ مرات عشان أتاكد إنها ماتت، وبعد ٣ أيام مطلعتلهاش ريحة زي بقية الموتي، بس حصل حاجة تانية خالص.

ايه هي؟

بدأت تصدر أصوات من القبر كأنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم مسكون.

ايه الكلام ده يا عم محمود دي أوهام.

بص يا ولدي، عاشرت الموت أربعين سنة في عمري مدخلش في قلبي الخوف دقيقة واحدة لحد ما قلبي مات وحسيت إني دفنته في مقابرهم، ولكن من يوم ما جبت لعنتك دي هنا بقيت أخاف أعدي من قدام القبر لا ليل ولا نهار.

كل ده عشان صوت سمعته؟

لا يا ولدي مش صوت ده زي ما يكون طوفان بيجرجر وراه هلاك واخد في طريقه الأخضر واليابس.

وقفت مشدوهًا أمام كلمات عم محمود، ماذا رأى هذا الرجل لكي يقول ذلك؟!

أي شر تحملينه معك يا قمر، وهل أنا من سيطلق هذا الشر أو الطوفان كما قال عم محمد؟!

انتابتني الحيرة وتعثرت بحلقي الكلمات؛ فقد غبت إلى عالم آخر بشرودي لا أعلم كم من الوقت، وانتبهت إليه وهو يطيح بيده في الهواء، وقال لي: أقسم يا ولدي لك أن الأثاث في بيتي كان يتناثر مثل الورق في الهواء من شدة الصوت الذي صاحبته الرياح، ولكنها رياح الشر.

استجمعت قواي ونزلت إلى القبر معي أحد المشايخ ليقرأ لها بعض القرآن، فقد قال لي زملائي: لعلها روح حائرة لم تجد من يلقنها الشهادة فهدأها بالقرآن وقرأ كثيرًا، ثم نزلنا إلى القبر لنكمل قراءة وما طمأنني إلى فعل ذلك أن الهدوء قد خيم على المكان بعد أن كان الصوت لا يحتمل، ولكن هدأ كل شيء بعد القراءة فنزلنا لتحصين القبر، ولكن يا ولدي حدث ما لا تتخيله وجدناها جالسة في وسط القبر تجدل ضفائرها الصفراء الفاقع لونها وكانت جميلة جدًّا، لم أر فتاة بجمالها من قبل. عندما غسلتها زوجتي ،

قالت: إنها فتاة جميلة وصغيرة السن، ولم تكن لها هيئة الموتى، كأنها تنبض بالحياة وجهها منير أبيض يميل إلى الاحمرار، وكان ذلك غريبًا ولكن مثلما عهدنا أن من كان عملهم صالحًا أنيرت وجوههم بعد الموت.

أخبرني كيف وجدتها تجلس في وسط القبر؟

لا أعلم يا ابني، كانت أجمل من أن توصف، ولم تعبأ بنا أو بدخولنا القبر، بل استمرت في جدل ضفائرها، والغريب أنها لم تكن وحيدة.

ما معنى ذلك؟

كان بجوارها جثتها.

هل تهذي يا عم محمود؟

يا ليتني أهذي يا ولدي، هذا ما حدث بالفعل، وجدنا جثتين اثنتين إحداهما مكفنة ونائمة، والأخرى على قيد الحياة.

متى حدث ذلك؟

أمس يا ولدي.

وماذا فعلت أنت؟

خفت فتركت القبر سريعًا، أنا والشيخ وذهبنا إلى الجامع كاد الخوف أن يوقف قلبينا.

إن كان ما تقوله صحيحًا خذني إليها الآن أريد أن أراها.

أنا أخاف أن أعود هناك ثانية مستحيل.

إذن، خذني أنا إلى هناك، افتح لي باب القبر، واتركني وحيدًا معها أنا لا أخافها.

لا يا ولدي، إن هذا القبر ملعون، وسيفتح بابا للشر، لن تستطيع وحدك إغلاقه، اسمع كلامي أنا اكبر منك وأدري منك، لقد علمتني الحياة الكثير.

أرجوك افتح لي الباب أريد أن أراها مرة واحدة، أقبِّل يدك أقبِّل قدمك، ارحمني من عذابي ألم تخف أن تكون على قيد الحياة والإغلاق عليها يقتلها؟

يـا ولـدي كان القبـر مغلقًـا أكثـر مـن ثلاثـة أشـهر كيـف ستسـتمر علـى قيـد الحيـاة، ويقتلهـا الإغـلاق الآن؟!

قـد يكـون القبـر مفتوحًـا، وهـي تأتـي إليـه وتخـرج، أليـس كذلك؟!

هـذا أيضًـا مسـتحيل، فأنـا مـن دفنهـا بيـدي، وأنـا مـن أغلـق البـاب مـن يومهـا، وأنـا مـن فتحـه أمـس.

أرجوك يا عم محمود خذني إليها الآن.

تذكر أنت من طلبت، وانت من صمم على ذلك.

نعـم، لـن يلقـي عليـك أحـد اللـوم، صدقنـي أنـا المسـئول الوحيـد.

أخاف ألا يتحمل قلبك فتموت.

إن مت فادفني إلى جوارها، لا أريد أكثر من ذلك.

وأهلك يا ابني، ماذا أقول لهم؟

لا أحد يعلم بوجودي هنا أرجوك أرح قلبي.

إن كنت تصر على ذلك، فهيا بنا لا أعرف لماذا تصر أن تضيع شبابك؟

حتي أنا لا أعرف.

دخلت مع عم محمود إلى قبرها، فتح القفل أمامي ودخلت وحدي وجلس هو يقرأ القرآن خارجًا بعد أن أوصاني بأن هناك كلوبًا بجوار الحائط جهة اليمين، وأعطاني علبة أعواد ثقاب حتي أوقده ما إن نزلت إلى القبر.

نزلت السلم أتحسس خطاي في الظلام، ولكني كنت مسرعًا قدر ما أستطيع ونظرت حولي كان الظلام دامسًا، ولا أرى حتى كف يدي لم أكن أشعر بجسدي، ولكنني شعرت بأنفاس تحاوطني من كل مكان، كأن هناك شخصًا يلهث خلفي، استدرت لم أجد أحدًا، تحسست الجدران فوجدتها رطبة كأنها مبتلة،

لم أبالِ كثيرًا فقد تسلل الرعب إلى قلبي، ولكني كنت مصرًّا أن أعرف الحقيقة تحسست الحائط حتي

وصلت إلى القنديل أخرجت علبة الثقاب من جيبي أشعلت عوداً، كانت يدي رطبة من الجدران فلم يشتعل فأخرجت آخر وآخر حتى اشتعل أحدها واقتربت من فتيل الكلوب، واشعلته بدأت النار تعلو رويداً رويداً كاشفة لي ملامح القبر سريعاً،

كنت متوتراً وزادت نبضات قلبي وأصبح عرقي يغطي وجهي فمسحته بيدي أضاءت المقبرة، ولكني وجدت ما أرعبني وكاد قلبي أن ينخلع من مكانه؛ فقد كانت المقبرة مغطاة بالدماء، الجدران والأرضية لم تكن مبتلة بالماء بل كانت مبتلة بالدماء، ونقشت على الجدران نقوش لفت لفة كامله،

كانت الجدران كما لو كانت ينابيع دماء تتسرب منها من كل جانب، كأنها تضخها هربت إلى الداخل وجدت الجثة في وسط رسم بالدماء على هيئة نجمة سداسية تتوسط دائرة ووضعت الجثة في وضع عقارب الساعة، كأنها تشير إلى السابعة لم أكن أعي ما يجري حولي،

ولكني الآن تذكرت كل رسومي التي رسمتها في الأيام الثلاثة الماضية نقشت على جدران المقبرة كأنها نفذت إليها، وشعرت بأن من يلهث ويتنفس حولي الجدران.

حاولت الاقتراب منها لأرى إن كانت على قيد الحياة أم لا ومن فعل هذا؟

أهذا سؤال؟!

أنا من فعلته ليلة بعد أخرى.

ما إن اقتربت من الدائرة حتي علت منها النيران، أعمتني ولفحت سخونتها عيني ووجهي، عدت فجأة لأتعثر وأقع على الأرض ثم نهضت واقفًا، وحاولت مرة أخرى، كانت النار قد هدأت، ثم انطفأت، وكأن شيئًا لم يكن، ولكن ما إن اقتربت هذه المرة حتى ثارت مرة أخرى، ولكن أقوى من سابقتها،

وتلك المرة كنت قد ابتعدت آخذًا حذري، لكني تيقنت أن تلك النار لن تسمح لي بالاقتراب أكثر فوقفت أراقبها من بعيد كأن طقسا يدور الدائرة تضيق حولها، ونجمة

obeikan.com

داود تحتويها بداخلها وتجمع خيوطها حول جسدها كأنها تحتضنها وشيئًا فشيئًا تلاشت النجمة كأنها نفذت إلى داخلها وانطفأ نور الكلوب. حاولت أن أشعله دون فائدة، فقد سيطر الظلام على المكان تخبطت لا أعرف أين الجدار لم أجد شيئًا،

وفجأة أمسك بي أحد من الخلف، شعرت بقشعريرة تسري في جسدي كأنه الموت هاجمني ولا مفر، لكني سمعت صوتًا يقول بسم الله الرحمن الرحيم: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) ،

ويرددها كثيرًا وهو يجذبني اصطدمت قدمي بالسلم وهو يحاول جذبي لأعلى وشعرت أن الأيادي تكاثرت حول حنقي وكتفي يجذبونني معه حتي خرجت إلى النور ما هذا إنها الشمس هل بقيت طوال الليل بالقبر؟

ماذا حدث؟

من أين اتي كل هؤلاء الناس؟

لماذا أشعر بالبلل في كل جسدي؟

أخذ رجل يكبر في أذني كأنه يقيم الصلاة.

هل مت؟!

نعم، أنا قد مت ولكن كيف أكون ميتًا وأنا أشعر بكل جسدي، وأسمع أصوات الناس حولي بهذا الوضوح، بل أراهم أيضًا؟

ولم لا؟!

هل سئل ميت من قبل ماذا حدث؟

أو ماذا رأيت بعد موتك؟

قم يا بني، الحمد لله جت سليمة أنا حذرتك وأنت مسمعتش لولا دعاء أبوك وأمك مكنتش عديت منها.

إنه صوت عم محمود يخاطبني، إذن، أنا لست ميتًا الحمد لله.

حاولت أن أتحرك أثقلني جسدي، ولكني ما زلت أحاول جاهدًا، اتسعت حدقتي عيني فوجدت نفسي في بيت عم محمود.

نعم، أعرفه فقد استضافني بضع مرات بعد موت عمي وزيارتي الدائمة لقبره، وصمم أن يسقيني الشاي، لامست يدي جسدي إنني لا أزال مبتلاً.

ايه الميه دي يا عم محمود؟

خرج مني السؤال تلقائيًّا.

أجابني عم محمود: متخافش يا ولدي دي ميه مقري عليها قرآن عشان جسمك اللي كان عمال يتنفض ده يهدأ وعشان تغسل الدم كمان.

دم ايه؟!

اه تذكرت الآن المقبرة، كانت ملطخة بالدماء وأنا لمست الجدران.

معرفش يا ولدي اول ما شفناه افتكرناه منك، وانك اتعورت وبتنزف بس انا قلبتك من كل جنب لقيتك صاغ سليم مش متعور الحمدلله بس منعرفش ده منين.

أنا عارف جدران القبر كانت كلها دم.

لا يا ولدي أنا نزلت أنا والشيخ القبر نظيف زي ما هو.

أنت نزلت امتى؟

بعد ما طلعناك بشويه وقرينا قرآن، وولعنا بخور، قلتلك القبر ده ملعون مصدقتنيش.

طيب قمر لسه هناك ولا مشيت؟

هتمشي تروح فين بس لسه مدفونه مكانها.

خدني عندها.

تاني يا ولدي؟!

لا، عمري ما هكرر الغلطة دي تاني أنت متعلمتش، أنت عارف ايه جرالك وجرالنا في الليلة السودة دي؟

عارف اللي أنا شفته.

احكيلك انا بقي اللي مشوفتوش، بعد ما أنت دخلت وانا قعدت بره، وانت كنت داخل في نور الكلوب لحد ما غبت عن نظري وجاني نور الكلوب اللي جوة منور عرفت انك وصلتله وفجأة الدنيا عتمت

obeikan.com

كأن النور اتسرق منها مبقتش شايف كف يدي حتي الكلوب طفا قعدت اتلفت حواليا اجيب الكبريت مش عارف عمال احسس وفجأة كل الظلمة دخلت من باب القبر

وقفلته وراها زي ما اكون اتردم جريت صرخت لميت الناس كل واحد جاب فاس وقعدنا نحفر زي ما يكون بنحفر في حديد مش بيلين جالنا الحج قناوي وقال لازم نجيب المشايخ تقرأ لما حكيتلهم اللي حصل روحنا جبنا المشايخ قروا عدية ياسين وسورة الجن لحد ما أذن الفجر علينا،

وانفتح الباب والدنيا ظلمت تاني ومبقاش حد شايف حاجه ولا حتى كف ايده. المشايخ قعدوا يقروا واحنا نوحد الله لحد ما الظلمة راحت زي ما جت وضربنا الفاس فتح الباب نزلت جري أدور عليك وجبتك بس أنت كنت زي ما تكون متمسمر في الأرض، شديتك بكل قوتي وساعدوني الرجاله لحد ما طلعنالك كان كل جسمك دم غسلناك بميه بملح ومقري عليها قرآن،

ونزلنا رشينا ميه عليها قرآن في القبر تحت، وقرينا وولعنا بخور، أنت لازم يا ابني تنسى الموضوع ده خالص وتمشي من هنا، ومترجعش هنا تاني فاهم! عيش حياتك يا ولدي بدل ما تروح منك يلا مش عاوز أشوف وشك هنا تاني، والقبر ده هيتردم مش هينفتح تاني دي لعنة يا ابني وحرام عليك تلعنا معاك احنا غلابة ومنستحقش منك كده. أرجوك ابعد ومتجيش هنا تاني، ولولا حرمة الموتي لكنا احرقنا القبر واعلم أنك غير مرحب بك تاني ان جيت.

سمع تلك الكلمات وغادر وكانت حالته يرثي لها، وسؤال دائم بخلده فيما ورطت نفسي؟

ومالي لا أنسى وأشعر بأن الألم يجتاح جسدي كلما هفا إليه شوقه إليها.

دخلت إلى منزلي، وجلست أكتب مذكراتي منكبًّا عليها أدون كل شيء حتي لا أنسى، لم أنم قط، ولو ساعة كنت أشعر كمن يحلم وأردت أن أدون حلمي قبل أن أستيقظ وأنساه، ويا ليته كان حلمًا، يومان وأنا بهذه الحالة أقول لنفسي.

نثرت الرماد يومًا بعد يوم، وهأنا أجلس منتظرًا ماذا سيحدث؟! مرت ثلاث ليالٍ الآن منذ أن عدت للمنزل لم يحدث شيء، كما وعدتني أنها ستعود.

أكنت حقًّا أعتقد أنها ستعود؟

أنا أهذي الآن، وأصدق الخرافات، ولكن ما رأيته لم يكن خرافة كان حقيقيًّا، ولمسته بيدي، ولكن ماذا أملك الآن حتي القبر عم محمود ردمه، ولن أستطيع العودة الآن لأرى ماذا يحدث؟

قد يكون هذا الردم هو ما منعها، ولِمَ لا؟!

لم يسمح المشايخ لها بالخروج، نعم هذا هو التفسير الصواب حتى الآن، إنه اليوم الخامس، وما زلت أكتب ما حدث بمذكراتي، وأفكر هل حقا منعت؟

أم أنها لم تكن تعود من الأساس؟ وجدتها أمامي أقسم لكِ ظهرت كما رأيتها يوم المحكمة حتى إنني فركت عيني عدة مرات، ثم جريت إليها قلت لها كيف ذلك؟

قالت لي: إنه السحر.

رجعت للخلف خطوة، ولكن عيني لا تزال معلقة بها، أخاف أن أغمضها فتختفي، إذن الضابط وعم محمود محقان، أنتِ ساحرة كما قالا.

وأنا شاركتك سحرك يا ويلي!

انتظر، لا تحزن هم لايفهمون شيئًا

أفهميني، إذن؟

كيف رجعتِ أم أنا من يهذي؟

اقتربت مني وقالت: لا، يا حبيبي أنا موجودة بالفعل، اجلس سأحكي لك.

كلمة حبيبي منها ذوبتني، فشعرت أن قلبي كاد أن يقفز من مكانه إليها.

قالت لي:

عندما ماتت أبلة نجاة اسودت الدنيا بعيني، ولم أعد أعرف للحياة معنى. فارقتني الابتسامة أغلقت على نفسي الباب وتكورت في زاوية من الجدار، كنت أشعر بأنني إن

obeikan.com

وقفت بعيدة عن الجدار لن تحملني قدمي للوقوف، فقط أريد شيئًا أستند إليه بعد أن ضاعت سندي في الحياة، ولكن حتى الحزن استكثروه عليَّ ومنعوني منه أخرجوني بوحشية من غرفتي، جروني لأعمال الخدمة بمطبخ الدار، كان هذا تنكيلاً بي،

كل أيام سعادتي انتهت، وكل يوم كانت الأمور تزداد سوءًا لكره الجميع لي وغيرتهم مني لما كان لي من مكانة مميزة في حياة أبلة نجاة، ثم إن جمالي كان يضايقهم ولو استطاعوا أن يجردوني منه لفعلوا مثلما سرقوا ملابسي الجميلة التي أحضرتها لي أبلة نجاة في حياتها، لقد أوصت أن أحل محلها في غرفتها بالدار، وأن أرث ملابسها،

ولكنهم لم يبالوا بوصيتها بعد موتها ورموني بعيدًا. كانت أبلة نجاة حذرتني من ذلك فأوصتني أن ادفن النقود بالحديقة الخلفية يوم أن أعطتني إياها وألا يراني أحد خشية سرقتها. وبالفعل نفذت وصيتها وهذا ما حافظ عليها فعلاً،

كنت لا أطيعهم أتمرد على أوامرهم السخيفة التي تتبع من حقدهم وقلوبهم المريضة. وكان جزائي قص شعري فهو العقاب الأكثر شهرة وبشاعة في الملجأ، وعادة يبدأون بالضرب والحبس الانفرادي، لكنهم اختاروا لي الأبشع أولاً ثم الضرب وبخلوا عليَّ بالحبس الانفرادي، مع أني كنت أريده بشدة لأبتعد عنهم، ولكنهم علموا ذلك فمنعوني منه وضعوا لي حشرات وفئران بالفراش تبقيني مستيقظة ليل نهار حتى انهارت قواي، كانوا يريدون قتلي حتي إنني تمنيت لو تعجلوا. اقتربت مني صديقة بالمطبخ،

وقالت لي: لقد سمعت من قريبة لي أن هناك سحرًا يرجع الموتى ثانية للحياة. كان أهل صديقتي هذه على قيد الحياة،

ولكن أمها كانت تمارس السحر وسجنت لذلك، أما أبوها فتزوج أخرى، وأرادت ان تتخلص منها زوجة أبيها فرمتها في الملجا، ليهنأ لها العيش مع والدها.

حكت لي كيف أن هذه القريبة هي من علمت أمها السحر، ولكن أمها لم تكن متمكنة مثلها فقد كانت جاهلة لا تعرف القراءه ليست مثل قريبتها، فلم تقرأ ولم تتعلم إلا بعض الحيل التي تستطيع بها أن تقلِّب رزقها كما قالت،

تقرأ فنجانًا أو تصنع حجابًا لطفل يصرخ، أو حجابًا لامرأة أراد زوجها الزواج من أخرى، أتعلمين لو كانت أمي تعلمت جيدًا ما استطاع البوليس أن يقبض عليها أو أن يتزوج أبي هذه اللعينة، فقريبتي الجميع يعرف أنها تمارس السحر، ولكن لا أحد يجرؤ أن يقبض عليها، والرجال يرمون المال تحت أقدامها فقط لترضى عنهم ولأنها جميلة جدا. هل تعرفين يا قمر أنك تشبهينها جدًّا.

جمالها نعمتها، أما جمالي نقمتي.

تعتقدين ذلك الآن، ولكن يومًا ما ستخرجين من هنا، وسيرتمي الرجال تحت قدمك ويدفعون حياتهم مقابل نظرة من هاتين العينين.

أتصدقينني لو قلت لكِ إنني لا أريد رجالاً ولا أريد أموالاً. لا أريد إلا أن تعود لي أبلة نجاة، واحتضنها وأعيش معها ثانية.

ستعود أنا أعرف أن خالة أمي قادرة على ذلك، خذي فقط هذا الخطاب ،وسلميه لها ما إن تقابليها.

ما هذا الخطاب؟!

ألم تقولي إنك لا تعرفين القراءة ولا الكتابة ولماذا هو أسود اللون ومخيف؟!

أتتحدثين عن الخوف بعد ما عايشته هنا، هو مجرد إرث عائلي، ولكن إياك أن تفتحيه.

أما أنا فسأخرج من هذا الجحر، وأذهب إليها وأتعلم كل شيء، ما يصبرني على الاستمرار في هذا الملجأ أني أتعلم به القراءة، لكي أتمكن من مهنتي بعد ذلك، فلو خرجت فلن أتعلم. كانت تلك ضالتي شققت الأرض بحثًا في كل مكان عن مخرج للهروب من الملجأ، حتى إنني استخدمت بعض المال القليل لرشوة الشاويش ليساعدني على الهرب، كان فقيرًا مثلنا ولم يجد ضررًا من مكسب زائد.

وبالفعل لملمت ما أستطيع حمله فقط والمال كله. قررت ألا اعود مهما تطلب الأمر فهنا والجحيم سواء، وخرجت للمرة الأولى إلى الشارع وحدي خائفة ومذعورة أن يلحق بي أحد لا أملك من المعرفة إلا ما تعلمته بالملجأ؛ فأنا لست ابنة أحد السجناء، مثل سعاد صديقتي، ولكني فتاة ألقيت يوم مولدها على باب الملجأ، فكان كل عالمي لم أعرف غيره ولم أغادره إلا هذا اليوم، الأول من يونيو تاريخ لن أنساه ما حييت. يومها بدأ مشواري وحياة أخرى أوصلتني إلى هنا الآن.

لا أعلم لماذا انتابني الفضول، وما إن غادرت الملجأ حتي فتحته كان أسود اللون مرسومًا عليه رسومات غريبة مقبضة للقلب، وما إن فتحته حتى وجدت بداخله ورقة أيضًا سوداء ومرسومًا عليها نقش ومكتوب عليها باللون الأحمر القاني.

منذ أن خرجت من الملجأ أسال الناس عن طريقي، وسافرت إلى المنوفية، ومنها ركبت ركوبة إلى قرية في

أطـراف المدينـة حتـى إن النـاس عندمـا ذكـرت لهـم المـكان كلهم هربوا منـي، الجميـع خـاف أن يذهـب إلـى هنـاك ليـلاً

إلا شـخص واحـد وافـق علـى ان يأخـذ ريـالاً كامـلاً ثمنًـا للتوصيلـة. وبالفعل وافقت وحاولت طوال الطريق أن أسـأله إن كان يعلم أي شـيء عـن الشـيخة بـدور، ولكنـه كان صامتـا مثل الصنـم، ولـولا أنـه طلـب منـي الريـال لاعتقـدت أنـه أصـم وأبكـم لا يتكلـم ولا يسـمع.

وصلت إلـى هنـاك، كانـت القريـة مظلمـة ظلامًـا حالـكًا مقبضًـا للقلـب، لا تعـرف لـه تفسـيرًا،

وانتهـى بـي المطـاف أمـام بيـت لـه سـور خارجـي مرتفـع جـدًّا ارتفاعـه شـاهق كأنـه سـور قلعـة وفي الأمـام يتوسـط السـور بـاب خشـبي عمـلاق ذو ترباس غليـظ ووضـع في صداراتـه مـدق يحمـل رأسًـا تشـبه الجمـل، ولكنهـا ليسـت جمـلاً، وتشـعر بالخـوف بمجـرد أن تنظـر إليهـا ولا تسـتطيع تفسـير ذلـك. نزلـت مـن فـوق الحمـار، أمسـكت المـدق بيـدي في خـوف. أقسـم لـك أننـي دققـت دقـات بسـيطة كانـت دقـات قلبـي أعلـى منهـا،

لـم تكـن تنفـذ إلـى أذنـي مـن خـوفي ورهبتـي، ولكـن سـرعان مـا فتـح البـاب، فقـال لـي صاحـب الحمـار: هنـا بيـت الشـيخة وهنـا انتهـت مهمتـي، هاتـي الريـال،

فككت منديل رأسـي، وكنـت قـد غطيـت وجهـي بطرحـه سـوداء خفيفـة خوفـا مـن أن يرانـي النـاس، فيطمعـوا بـي وأعطيتـة الريـال وأحكمـت ربـط عقـدة المنديـل ثانيـة وأدخلتهـا أسـفل شـعري لأخفيهـا. وتقدمـت خطـوات مـن البـاب وجـدت رجـلاً قصيـر القامـة غريـب الخلقـة يشـبه الأقزام في اسـتقبالي سـألته: هل أسـتطيع أن أقابل الشـيخة بـدور الآن؟!

نعـم، كان هـذا اسـمها، لا يمكـن أن أنسـاه مـا حييـت. قـال لـي: هـي في الداخـل تنتظـرك.

سـرت خلفـه أحـاول أن أسـترق النظـرات يمينًـا ويسـارًا، ولكنـي لـم أرَ شـيئًا، الظـلام هنـا غريـب، تشـعر أنـه يلفـك حتـى تلـك القناديـل المعلقـة في الممـر المـؤدي إلـى حجرتهـا تنيـر مكانهـا فقـط، كأنهـا أقمـار صغيـرة في السـماء.

كان كل ما حولي مقبضًا لي لا أعرف إن كان السر هو أنني أواجه الحياة للمرة الأولى أم أنني لم أدخل من قبل بيوت الساحرات. كان الممر طويلاً أو هكذا شعرت. دخلت إلى الحجرة التي يملؤها الدخان حتى إنه ما إن فتح الباب حتى فر الدخان وكأنه مذعور، وأغلق الباب خلفي وخرج.

وقفت، أخذت لحظات حتى تحققت ملامحها إنها تشبهني فعلاً، ولكن وجهها أكثر استدارة، ربما فروق بسيطة وإن لم تتواجد لشعرت أني أنظر إلى مرآة، قطعت الصمت قائلة:

لماذا تأخرتي كل هذا الوقت يا قمر؟!

أنا لم أتاخر أو لا أعلم؛ فقد حرجت من الملجأ إلى هنا مباشرة.

تأخرتي في الخروج من الملجأ كثيرًا.

ما إن استطعت أتيت.

لا يوجد في حياتي شيء أكره إليَّ من قول هذه الكلمات الضعيفة، إن أردتي شيئًا يجب أن تفعليه، يجب أن تسخري الكون لتنفيذه، وإما أن تقفي عاجزة. هذا ما لا أقبله.

أنا لا أريد إلا شيئًا واحدًا فقط.

أعرفه!

كيف ذلك؟!

غدًا ستعرفين كل شيء.

هل أمشي الآن وأعود غدًا؟

ولكن أين سأبيت؟

لن تغادري، ستبيتين عندي الليلة، وغدا سأعلمك كيف ترجعين أبلة نجاة.

كيف تعرفين؟!

هل أرسلت لكِ سعاد خطابًا؟

obeikan.com

أولاً سعاد، لا تعرف الكتابة، وكيف سترسله ومع من؟

ثانيًا لا يصح أن تسألي بدور هذا السؤال.

آسفة.

لا عليكِ غدًا نتكلم.

وخرجت إلى الخارج فتبعتها سريعًا أرشدتني إلى غرفتي، كانت مثل البلدة كلها مظلمة قاتمة، تحسست مكاني وأويت إلى السرير، كنت جائعة ولكني لم أبالِ كنت تعبة فنمت راودتني الكوابيس،

شعرت بأن هناك من ينام بجواري ويلفني ويحاوطني، وكلما حاولت أن افيق أجد جفوني مطبقة كالمخدرة، استيقظت وأنا أشعر أن جسدي خفيف وأشعر بسعادة لا أستطيع وصفها. فتح الباب الخادم القزم جفلت، فقد دخل دون أن يطرق الباب، وقال لي الشيخة بدور تنتظرك ذهبت خلفه، كان النهار ساطعًا ولكن السماء ملبدة بالغيوم كأننا في ديسمبر، مع أننا في يونيو، دخلت غرفتها ووجدت الطعام أكلت حتي الشبع، كنت جائعة كمن لم تأكل منذ

أعوام، وهي تراقبني في صمت وتمضغ على مهل لم أبالِ كثيرًا بنظراتها، وما إن أنهيت طعامي، قالت: أمامك الآن طريقان اختاري أحدهما.

قلت لها: ما هما؟!

إما أن تعودي من حيث أتيت.

لم آتي إلى هنا حتي أعود.

أو أن تعرفي أن الطريق الذي ستمشيه سكته واحدة بلا رجعة.

المهم أن أحقق هدفي.

ستحققيه كما قلت لكِ من قبل لا أحب الضعف.

أريد الطريق الآخر أرجوكِ، أريد عودة أبلة نجاة، هل هذا ممكن؟

ممكن إن فعلتي كل ما أريد.

سأفعل.

obeikan.com

سنرى.

أولاً يجب أن تقرأي هذا الكتاب، أعلم أنكِ لن تفهمي منه الكثير، ولكني أريدك أن تحفظيه عن ظهر قلب، فهذه هي الطقوس التي ستتبعينها.

حاضر، قلتها وأنا مسلوبة كل شيء لا أرى ولا أفكر إلا بالكتاب.

عكفت الليالي التالية على القراءة والحفظ حتى أصبحت أعرفه مثل كف يدي.

ذهبت إليها، وقلت لها لقد حفظته، ماذا بعد ذلك؟!

قالت لي: سأعلمك القتل.

ماذا؟!

يجب أن تعرفي كيف تقتلين رجلاً، وتخرجين قلبه.

لماذا؟!!

كان الذهول يملؤني مثلك الآن.

لكي تستعيدي أبلة نجاة.

ولماذا أقتل؟!

هذه هي الطريقة الوحيدة اتخذيها أو اتركيها.

لم أنم ليلتي أفكر، غادرت الحجرة غاضبة مني ورفضت مقابلتي أسبوعا كاملاً غير مسموح لي مهما توسلت إلى الخادم، ترفض وتردني ويطالبني بالرحيل.

إلى أين أرحل بعد كل ذلك، أعود للملجأ ثانية؟!

مستحيل.

إلى أن قلت له: أنا سأفعل أي شيء لن أعترض ثانية.

جاء ردها هذه المرة بالقبول، دخلت إلى غرفتها لاهثة من فرحتي بقرب المراد.

ألم تفكري أنها مجرد مشعوذه كاذبة مجرمة، تريد جرك إلى الهاويه؟!

لا، لم أفكر.

أنت لم تر بدور، كانت تملك كل شيء المال والجمال والسلطان، كل شيء. إن أرادت أن يقتل لها أحد أو يسرق فلن تنتظرني، هناك العشرات رهن إشارتها يجلسون بعتبتها لا يريدون إلا رضاها.

أكملي.

بالفعل في تلك الليلة أرسلت بدور إليَّ القزم، وأشارت إليه إشارة ذات معنى، فهمها على الفور واختفى سريعًا، وجاء يجر رجلاً مكبلاً بالحبال، وتركه في الغرفة وخرج ثم أغلق الباب خلفه.

تناولت بدور السكين، وأعطتني إياها،

وقالت لي اذبحيه، خانتني يداي، نكزتني وألقت بضع كلمات لم أشعر بنفسي إلا وأنا أمسك بالرجل من شعرة في يد والسكين في اليد الأخرى،

جززت رأسه حتى فصلتها عن جسده ورفعتها لها،

أمسكتها مني وهي مبتسمة، وقالت لي: الآن أعلمك الطب.

أخذت السكين وشقت صدر الرجل من اليسار لتخرج قلبه، ما زال ينتفض في يدها، وفتحت يدي ووضعته بها وقالت لي: بم تشعرين الآن؟!

كانت تعترينـي نشوة غامرة لا أعرف سببها، ولكني كنت فرحة بانتصاري ونجاحي في مهمتي.

نشوة؟!

أنتِ قتلتي إنسانًا بريئًا.

أعلم، ولكن ما لا تعلمه أنه لا يوجد شخص برئ في هذا العالم.

هذا الرجل كان زوج أمي هذا ما علمته بعدها من بدور، هو من خطفني من حضنها وألقى بي على باب الملجأ ليلاً، أتعلم لماذا؟!

لماذا؟

حتي يتزوجها بعد أن مات أبي، كان يحبها وكانت من أسرة ثرية جدًّا وجميلة.

مات أبي وهي حامل بي، أراد الزواج منها ولم يكن يريد أن يطل شبح أبي ممثلا فيَّ، وكانت أمي تحب أبي، وحزنت عليه كثيرًا وقالت: إنها ستعيش لتربي وليدها، ولن تتزوج بعده أبدا لذلك سلط الخدم أن يقولوا لها إن الجنين ولد ميتًا،

ورماني عند باب الملجأ، عمري ساعات أواجه العالم وحدي لا أملك أي شيء يجنبني مخاطره أو مالاً يكفيني، لم يفكر في أن يتركني لأسرة أخرى، أو يصبر بعض الوقت لعل أمي تغير موقفها، ولكنه قتلني وانا ما زلت على قيد الحياة،

رماني في الجحيم دون رحمة. كنت شاكرة لبدور أنها أهدته لي لو كنت أعلم قبل قتله لقتلته مئات المرات، ولكنه محظوظ.

ولماذا لم ترشدك بدور إلى أمك لتعيشي معها.

امي خيبت ظنه، وماتت بعد ولادتي بحمى النفاس ولم يتزوجها، وخابت كل مخططاته ولم يفكر أن يعيدني إلى عائلتي التي لا أعلم عنها شيئًا.

هدئ من روعك، ماذا حدث بعد أن قتلتيه؟

علمتني بدور كيف أصنع الوصفات، وكيف أجمع المكونات، وماذا أستخدم لحفظ القلب نابضًا في برطمان لحين احتياجي له؟

كنت أتعلم منها كل شيء كرسم الرسومات وعمل الطقوس.

وجاءت ليلة أخرى، ونظرت للخادم نفس النظرة، وأومأت تلك الإماءة،

واختفى الخادم وعاد بعد بضع دقائق كنت أترقب خلالها الباب، وصدق ظني إذ عاد برجل آخر مكبلاً وأعطتني بدور السكين، ولكن هذه المرة دون أن تطلب مني قتله، وتمتمت ببضع كلمات فوجدتني أقتل الرجل وأنزع قلبه وأعطيه لها كأسد مدرب على الصيد.

نظرت لي وقالت: للقتل نشوة يا قمر لا يشعر بها سوي القاتل وأنتِ أصبحتي قاتلة.

قلت لها: ولكنني لا أريد أن أصبح قاتلة أريد أن تعود لي أبلة نجاة فقط لا غير.

ستعود، أنا أفي بوعودي دائمًا.

ستعود، وستقتلين ثانية.

لا، لن...

لا تكملي يا قمر، ستقتلين، أرى ذلك في عينيكِ إنها الشهوة، تلك التي تعترينا فتمزق أوردتنا طلبًا للمزيد.

لا أعرف إن كنتِ محقة أم لا، ولكني سأنفذ ما تقولين حتى عودتها.

بقي طقس أخير وهو الأصعب يا قمر.

أصعب من القتل؟

نعم، للأسف.

ما هو؟

ستتركين البيت، وستذهبين للعيش وحدك وستحضرين الرجال وتقتليهم وحدك، عشر رجال يا قمر، ثم تفعلين

مثلما علمتك، وستعود إليكِ أبلة نجاة، لا تنسي يا قمر في ليلة شديدة السواد يعود الغائب، لا تشهدي القمر يا قمر يجب أن يكون الظلام حالكًا.

ولكن، ما هو الطقس؟

ستقابلينه يا قمر.

من؟

الظل.

ومن هو؟

ستعرفين وقتها لا تتعجلي.

تقولين إنه الأصعب من القتل أرجوكِ طمئنيني.

بعد أن تقتلي عشرة وحدك لن تخافي مما تقابليه، بل ستشتاقين له.

بالفعل لملمت أشيائي، وتركت البيت مودعة الشيخة بدور، أعطتني الكتاب كي لا أنسى وخرجت فوجدت صاحب الحمار الذي أحضرني ينتظرني أخذني للمنوفية، ومن هناك رجعت إلى مصر محددة هدفي.

obeikan.com

كان الأمر صعبًا في أوله، فهؤلاء الرجال أقوياء، وأنا كما تراني ضعيفة البنية، ولكن ما إن أقرأ وأرتل تعويذتي حتي يصبح الأمر هينًا، بحثت عن غرفة ونزلت إلى السوق واشتريت كل ما أحتاج له لبدء حياة بسيطة،

واستعنت بعربجي كارو لكي ينقل لي الأشياء، وساعدني لإدخالها الغرفة، ولكنه كان يريد أكثر من أجرته هجم عليَّ فقاومته، ضربني وحاول كتم أنفاسي تظاهرت بالاستسلام له حتى تلوت تعويذتي وتملكت منه. كان هو الأول لي جاء الأمر سريعًا، ولكنني استطعت السيطرة عليه. أتعلم لم أقتل رجلاً من الرجال العشرة وكان بريئًا. كل منهم كان له خطيئته:

هذا العربجي استغل فتاة وحيدة ليرضي شهوته، حتى على بك هذا كان إقطاعيًّا، كنت أعلم أنهم مجرمون ما إن أراهم.

ومن نصبك لمحاكمتهم؟

لا أحد، ولكن من ظلمني لم يحاكم، وهم ظلموا آخرين، وأنا اقتصصت منهم، هذه هي الحياة.

وماذا بعد؟

إنه حظي العاثر ما إن جمعت القلوب حتي قبض عليَّ فلم أستطع أن أكمل الطقوس لأرجع أبلة نجاة، وقابلتك أنت عشقتك وائتمنتك على سري، وأنت استخدمت القلوب لإرجاعي.

لا أحد يعود من الموت يا قمر هذا كفر.

أنا مجرد شبح، لست إنسانا ميت فأحييته.

أنت قاتلة.

قتلت لهدف نبيل لم يكن عندي حل آخر لم أعرف غيرها في الدنيا، أردت أن تعود لي ولو كانت شبحًا أنا راضية.

هدف نبيل فعلاً!

هل تتهكم عليَّ الآن؟!

ألم تقل إنك ترضى أن أعود إليك، ولو دقيقة واحدة لتلمس يدي فقط ومن بعدها تموت؟

نعم، قلت ذلك.

ألم تكن تعنيه؟

بلى، كنت أعني كل حرف فيه.

أنت تراها جريمة قتل، إذن هي جريمة قتل وأنا قاتلة وقد عاقبني القانون،

سلبنوني حياتي هؤلاء الرجال أعدموني بلا رحمة، ولكنهم فقط قتلوا جسدي فروحي قد قتلت منذ سنوات عديدة من أناس يمارسون القتل، ولكنهم في أعين القانون أبرياء، فهم يقتلون الروح بالكلمات القاسية والأفعال الشريرة. في نظركم أبرياء وهذا القتل لو تعلم أشد من قتل النفس،

فهو يؤلم وأنت على قيد الحياة تموت واقفًا لا تستطيع أن تفعل شيئًا، فأنت مذنب لأنك ضعيف ولو كنت قويًّا ما تجرأ أحد على جرحك، لكن ضعفك أباح لهم قتل روحك. لا تقل إن ما فعلته قتل قبل أن تجرب هذا الشعور الذي يخلفه قتل الروح أولاً، ثم تكلم عن القانون.

يا قمر، لقد درست القانون عشقته، عشت به، وأرى العالم من دونه غابة لا يستطيع أحد بها البقاء إلا الأقوى.

أنت قلتها، في عالمي لا يوجد قانونك فقط بل يوجد قانون الغاب، ألم تر يومًا كيف يعاملون مجهولي النسب بالملاجئ؛ نحن في نظرهم أولاد حرام، ولا ينادوننا إلا بذلك، يا أولاد الحرام يا أبناء السفاح.

لم تر يومًا ماذا يطعموننا؟!

نفايات بقايا طعام فاسدة ونتنة، ومن يمرض فينا يتركوه ليموت؛ فقد تخلص العالم من ابن حرام لن يفتقده أحد.

لم تشعر يومًا بلسعة البرد التي تقتل أجسادنا الصغيرة، ونحن ننام على البلاط لعقابنا على فعلة طفل. لو كانوا أهلنا لكان أشد عقاب لنا ألا يبتسموا في وجهنا بضع دقائق

. ولكن نحن كنا نتعرض للصفع واللسع بالنار والنوم عارين على أرض مبتلة في برد الشتاء، والدفن في التراب الحار في السرداب في الصيف وتركنا للحشرات تعبث بنا،

ودهننا عسلاً وتركنا للنحل يقرص أجسادنا الصغيرة والهزيلة، وزد على ذلك كرههم لي ولجمالي. لم يرحمني أحد إلا أبلة نجاة لم يقف إلى جواري أحد غيرها منذ جاءت إلى الملجأ،

وتغير الحال أصبحنا نأكل كآدميين، ولسنا حيوانات استبدلت بالخيش والأشولة ملابس جديدة وملايات نظيفة وأسرة دافئة، وفجأة ماتت بلا مقدمات تذكر،

مجرد أعراض بسيطة استمرت بضعة أيام، ولكنها كانت تعلم نهايتها لم أكن أريد إلا استراجعها.

ولكننا لسنا بغابة كي تقتلي الناس لتحققي هدفك حتي لو كان الهدف نبيلاً؟

اقتربت مني وقالت: ماذا تفعل وحيدة مثلي بالعالم؟!

كنت حزينة وضائعة وقبض عليَّ ولم أكمل ما بدأت، ولكن لحسن الحظ كنت قد جمعت القلوب، ولذلك طلبت منك إعادتي. وثقت بك لأني أعلم أنك تحبني كما أحببت معلمتي، أليس كذلك؟

أنت تحبني صحيح؟

نعم، أحبك وأنتِ تعلمين ذلك.

صحيح وكانت ثقتي بمحلها أنا الآن موجودة معك.

نعم، أحببتك ولكني حائر، فما أعيشه شيء يفوق كل تصور، تنفست وقلت لها: ماذا ستفعلين الآن؟

وهل أنت حية فعلاً؟

ليس كليًّا أنا شبح الآن، ولكني موجودة إلى جوارك سأراك وستراني.

كم كنت أتمني ذلك ولو لحظة، هل أستطيع لمسك؟

نعم، ليس كليا ستشعر بي يجب أن ننتظر بعض الوقت حتى يتحقق المراد كاملاً.

لا أفهم شيئًا؟

المهم أني معك الآن، اقترب مني كي أشتم رائحتك.

سأبقى معك طوال العمر.

حقًّا يا قمر، لا أصدق نفسي.

صدقها.

فرحت جدًّا، ولكن كانت في نفسي الكثير من الأسئلة، والخوف صراع داخلي بين العاشق ورجل القانون، ولكن غلبني العشق.

عشنا معًا، رضيت أن أعيش مع شبح على أن أحرم منها نهائيًّا، عدت إلى الحياة وإلى عملي، حتي إن علاقتي بأبوي تحسنت كثيرًا، لم أوافق على العودة للعيش معهم ثانية لا لشيء، ولكن كيف سأعود وهي الآن تعيش معي؟

ولكني كنت أودهم كثيرًا لا أريد أن أفقدهم، فشعور الفقد مؤلم جدًّا. وعدت إلى عملي وقضياتي ونجاحاتي السابقة، أنارت حياتي كما لو أنني لم أعش من قبلها.

من قبل كنت أنهي عملي سريعًا لأعود إليها؛ ففي أحضانها عرفت معنى الحياة والحب والعشق والوله.

هل عشقت شبحًا؟!

قالتها ريم وهي مترددة.

نعم، لم أكن أشعر بأنها شبح؛ فالحب يذيب كل شيء، ويجعلنا نتقبله. كنت أقبل فقط بوجودها في حياتي بابتسامتها، وهي تستقبلني بعد يوم عمل.

ولكن في يوم من الأيام، أسوأ من يوم إعدامها، رجعت للبيت وجدتها تقرأ كتابًا قلت لها ماذا تقرأين يا حبيبتي؟

هذا الكتاب هو الذي حدثتك عنه.

أي كتاب؟

كتاب السحر.

وما فائدته الآن؟

حبيبي هناك أشياء أخفيتها عنك، انقبض قلبي بشدة عندما قالت ذلك، سألتها ما هي؟

وجودي مؤقت، وفي يوم ما سوف أغيب ثانية.

كيف ذلك؟

أنا معك منذ ما يقرب من عام، ولابد أن اكمل المراسم بالطقس الأخير.

obeikan.com

وما معنى ذلك؟

لاستمراري يجب أن أقتل شخصًا واحدًا فقط.

انتفض قلبي داخل صدري، ستقتلين ثانية؟

إن كنت تريد بقائي ذلك هو الثمن، أحسست أن خناجر تسري بجسدي تقطع فيه.

قلت لها: لا، أنت من تريدين ذلك، فمن يقتل مرة يدمن القتل.

إن لم تكن تصدقني فاقرأ بنفسك أنا لا أدعي ذلك، وقذفت الكتاب بوجهي وذهبت إلى غرفتي غاضبة.

قرأت لم افهم شيئًا، كان النص مبهمًا عن روح تسلم أخرى جسدًا آخر، لا لم تكن تلك هي الكلمات كانت الكلمات بالضبط، أنا أتذكرها كأنها تكتب أمامي الآن.

إن هذا الجسد أصبح باليًا، ويجب استبدال آخر به، والأضحية هذه المرة هي الطقس الأعظم يجب أن تكون خاضعة للظل من قبل، وتقدم نفسها قربانًا لأجله

ليشـملها بحمايتـه وتسـتمر الدائـرة إلـى أن تكتمـل.

انتي واهمـة لا توجـد دائـرة تكتمـل دائمـا تعودين للبداية لات نهايـة لها

لم تبالي بكلماتي وتركتني

أمسـكت الكتـاب فقرأتـه كامـلاً، سـهرت ليلتـي أقـرأ بـلا فائـدة كانـت كلهـا رمـوز وطقـوس بعضهـا رأيتـه مـن قبـل والبعـض الآخـر لا.

لـم أفهـم شـيئًا، ذهبـت إليهـا مسـرعًا حتـي تشـرح لـي هـذا العبـث.

قالت لي: إنه الحدث الأكبر فقط،

ليلـة واحـدة، تضحيـة واحـدة وسـينتهي الأمـر سـأكون معـك إلـى الأبـد.

لا يوجـد أبـدًا صدقينـي، لا تصدقـي هـذه الخرافـات سـنموت جميعًـا لا يوجـد شـخص خالـد.

أنا مت من قبل، وأخذت نصيبي من الموت، ولا أستطيع أن أموت ثانية.

عندك حق، أنا حتى لا أعلم إن كنتِ حقيقية أو وهمًا وسرابًا هيأته لي أوهام عقلي، ولكن أرجوك لا مزيد من القتل.

هذه ليست أوهاما، أنا معك الآن وأنت غير متوهم، صدقني كيف أثبت لك أني حقيقية أكثر من هذا؟

إذن، نكتفي بهذا ولا تعودي للقتل.

أنا لن أقتل، هي من ستضحي بنفسها من أجلي لكي أعود أنا، فقط اليد التي ستمسك السكين ليس أكثر.

من هي؟!

بدور.

التي علمتك السحر؟

نعم.

ولماذا ستضحي من أجلك كل هذه التضحية؟

obeikan.com

هي حتى لا تعرفك.

ليس لأجلي.

إذن من أجل من؟

الظل.

ومن هو الظل؟

لا إستطيع إجابتك الآن.

إذن، لن أوافق على هذا القتل.

أرجوك لا يوجد حل آخر، ثم من أخبرك بموافقتها؟

لقد أرسلت لها الخطاب، وقبلته.

أي خطاب؟

الخطاب الأسود.

لا أفهم شيئًا، خطاب أسود ما معنى ذلك؟

يا حبيبي، لتكتمل الطقوس أرسل للضحية المقبلة خطابًا أسود اللون، به تحذير إن فتحه فقد قبل أن يكون خاضعًا لي وأن يكون ضحيتي المقبلة.

obeikan.com

وإن لم يفتحه؟!

لا يحدث شيء، ولكن كل من أرسلت إليهم الخطاب فتحوه.

لماذا؟

لأن الفضول يقتل الإنسان.

ولكن بدور ستضحي بنفسها من أجلك لمجرد أن فتحت الخطاب.

أنت لا تعلم فحواه، فما إن يفتح حتي يصير الشخص الذي فتحه ملك للظل، ولا إرادة له سوى تحقيق رغباته والاستسلام الكامل لي.

اتركيني أقرأ وأساعدك على إنهاء هذا الجنون أرجوكِ

لا يوجد حل صدقني.

لا، بالتأكيد هناك حل، اتركيني أقرا وأساعدك.

موافقة، ولكن لا تكثر عن ثلاث ليال.

جلست أقرأ وأقرأ، ربما أجد مخرجًا لهذا الوضع بتدقيق شديد، وجدت مكتوبًا:

إن تلك الروح الهائمة لن ترجع عن القتل، ستقتل كل عام، ثم كل شهر، ثم كل يوم حتي يشيب الوليد من هول الدماء.

فزعت وأكملت وجدت مكتوبًا: إن أردت إيقاف تلك الروح فعليك أن تبلل تراب القبر، وتنثر الصبار والشوك لثلاث ليال في غياب القمر.

هنا نظرت للنتيجة، وجدت أنه يتبقى على آخر الشهر العربي يومان، استجمعت قوتي ودست على قلبي بكل قوة كنت كمن يمزق لحمه بسكاكين بيده، وقررت أن أوقفها عند هذا الحد.

هي قاتلة، ولابد من تحقيق العدالة، وإن كانت تعني عذابي. وبالفعل عند اختفاء القمر حملت الماء والصبار والشوك وذهبت لقبرها قابلت عم محمود.

قال لي: ما أرجعك؟!

قلت له: كنت على حق هذا القبر ملعون، وأنا أصبحت ملعونًا بها.

الحمد لله الذي أعادك إلى رشدك يا بني.

نزلت دمعة على خدي، وضع يده على كتفي واحتضنني.

وقال لي: إن للقلب أحكامًا أقوى منا يا ولدي، ولكن إرادتنا هي ما تحدد مصيرنا،

تقدم يا ولدي حرر نفسك لا تظل عبدًا لنفسك الأمارة بالسوء، حقق عدالتك وفك لعنتك.

كان الرجل يتكلم كراوٍ عليم، يعرف أن خلاصي بيدي فقط وليس بيد أحد آخر.

تقدمت للقبر المطمور منذ آخر مرة كنت هنا، ونثرت الشوك والصبار وبللت التراب يومًا بعد يوم أبلل قبرها باحتراق قلبي، ولكن غلبني القانون الذي درسته والعدالة التي سعيت ورائها طوال عمري،

وفي الليلة الثالثة رجعت إلى البيت وجدتها تجلس على مكتبي تقرأ مذكراتي نظرت إليَّ، وقالت لقد فعلتها، صحيح؟

تريد أن ترجعني القبر، أليس كذلك؟

قلت لها: نعم، لا أستطيع أن أساعدك أكثر من ذلك على نشر شرورك، يجب أن تعاقبي، تلك هي العدالة، أليس كذلك؟!

أنت مثلهم كرهتني مثلهم وسوف أعاقبك عقابًا أشد من الموت.

أنا أحببتك يا قمر.

ولكنك خنتني.

افهميني يا قمر.

أنا لست قمرًا أنا لست تلك الفتاة الساذجة، أنت لا تعرف فيما ورطت نفسك، وستدفع عمرك ثمنًا لذلك.

أنا دفعت عمري عندما أحببتك، فسامحيني فما زلت أحبك وأنت تعرفين ذلك يا قمر.

لست قمرًا ألا تفهم أنا ديالا.

من؟!

ديالا؟

هذا.... أنت تهذين، من أنتِ؟!

ما اسمك؟!

أجيبني.

اسمعني: سأقول لك الحقيقة ليس لأنك تستحق أن تعرفها فقط ولكن لأثبت لتلك الغبية أنكم كلكم خائنون، وكان يجب أن تقتلك عندما حانت لها الفرصة.

عمن تتكلمين؟

عن قمر التي ضعفت وأحببتك، ونفذ حبك من جسدها لي ولأنني أحببتك أيضًا، ولكن لن يعفيك ذلك من عقابي أو عقاب من يتبعني منذ ألف عام مثل ظلي.

obeikan.com

من يتبعك يا ديالا؟!

إنه الظل الكامن بجدار المعبد.

لا أفهم شيئًا مما تقولين!!

ولماذا تدعين أن اسمك ديالا يا قمر؟

أنا اسمي ديالا ألا تفهم؟!

قمر كانت إحدى محطاتي فقط.

هذا كثير، أتدعين ذلك لمعاقبتي؟!

لا، عقابك سيكون أكبر من ذلك بكثير، اصمت واستمع إليَّ:

أنا ديالا،

كنت أعيش بقرية صغيرة ببغداد، أحمل اسمها اسماني أبي باسم المدينة؛ لأنني كنت جميلة مثلها، وكنت أعيش بكوخ صغير مع أبي الذي يعمل مزارعًا بجبال

الحمرين، فبلدتي لا تبعد عن العاصمة كثيرًا، يشقها نهر ديالي وهي من أجمل مدن بغداد، وأكثرها أزهارًا في حقول البرتقال، قضيت طفولتي، طفلة تمرح وتلعب في ظل إخوتها. كنت أنا الصغيرة لعشر إخوة، وأنا المدللة عند أبي، ويعاملني كأنني الوحيدة.

وفي يوم مشئوم أسود كسواد الليل في ليالي الشتاء الغابرة قالت لي أمي: اذهبي لأبيك وإخوتك الرجال بالحقل وأعطيهم الطعام والماء، وكنا في الصيف وكان الجو شديد الحرارة فمررت بمنطقة القبور القديمة،

وأنتم تدعونها بالآثار الآن، وأردت أن أرتاح قليلاً من عناء الحر، ولكني لم أجد أي مكان ظل إلا حائط واحدًا فارتميت عليه، وهنا كان موعدي مع الظل الذي غير مجري حياتي، وبدأت مأساتي.

فالظل بدأ يتحرك ويلامسني ويتحسس جسدي وقد تملكني الرعب حتي الصراخ لم أقو عليه، حتي كدت أن أموت رعبًا، ولم أستطع الهرب منه، لم أستطع الحركة؛

فتملك مني وجردني من ملابسي ونهشني كذئب جائع وتركني جثة بين الموت والحياة وكان الليل قارب على المجيء،

فحملت نفسي ولملمت أشيائي، وبعض مني لم يمت، وعدت إلى البيت ما إن رأتني أمي حتي علمت بما حدث. كان الأمر واضحًا عليَّ وجليًّا سألتني: من فعل بك ذلك؟

قلت لها: الظل الذي يسكن القبور. صفعتني وقالت: كاذبة. أقسمت لها أني لم أر إنسانًا بل كان ظلاً من القبور. لم تصدقني ورمقتني بنظرة نارية كادت أن تحرقني، وحبستني بالغرفة،

وما إن قدم أبي من الحقل وإخوتي حتي أخبرتهم، وقالت: إنني خاطئة. وفي عرفنا لابد من قتل الخاطئة، حتي وإن كانت بريئة، ماذا تفعل فتاة صغيرة مثلي لم تتجاوز الستة عشر عاما مع بشري أقوى منها، فما بالك بظل لم تستطع حتى رؤيته. وكانت نهايتي تكتب أمام دموعي المنهمرة لا أحد يصدقني، قلت لهم: تعالوا معي أريكم مكان ما حدث.

قالوا لي: أتريدين جرنا إلى مكان خطيئتك، ألا يكفيكي ما لحق بنا من عار، أنذهب لهناك حتى تشهدي الناس على فضيحتنا.

قلت لهم: إن كان بشري فعاقبوه.

قالوا لي: ليس على الرجل عقاب، أنتِ من يجب أن يعاقب.

استجديتهم، وبكيت بحرارة من قلبي تمسكت بملابس أخي الأكبر؛ لعله ينجدني من أبي، ولكنه طأطأ رأسه مفلتا يدي من ثوبه كأنني نجس أصابه، أمسكت بطرحة أمي أستحلفها أن تسامحني، وتجعل أبي يتركني، أقسمت لهم أنني سأعيش خادمة لهم بالبيت ولن أبرحه أبدًا.

قالوا لي: إن القتل هو الحل الوحيد لغسل عاري حتي لا يتهامز الناس عليهم. تمسكت بكل أخ لي وأبي يجرني من الغرفة جرًّا من ضفائري بلا جدوى، وقيدني إلى شجرة البرتقال الواقفة أمام منزلنا وقد رويتها طوال سنوات عمري بالماء،

وجاء اليوم الذي أرويها فيه بدمي، وفي بضع ثوانٍ لم أر فيهم إلا تطاير الشرر من عينيه، رفع فأسه ونزل بها على عنقي ففصله عن جسدي، ووارونـي التراب جزأين دون أن يصدقوني. بلا ضمير عينوا أنفسهم قضاة وجلادين على حد سواء. شعرت بأنني لم أمت فأنا أرى كل شيء حولي بوضوح، أرى إخوتي يحملونني بأطراف أصابعهم كأنني نجس يتخلصون منه، لا توجد في أعينهم دموع، أتتصور ذلك؟

أرى أمي تكابر وتزغرد، وترفع عباءتها فوق رأسها افتخارًا بما فعل أبي. وفجأة أظلمت الدنيا، هلعت نظرت حولي لا أرى سوى الظلام. جلست أترقب لا أعلم ماذا سيحدث لي ثانية وفجأة جاء إلى قبري الظل.

وقال لي: فلنعقد اتفاقا.

قلت له ما هو؟

أرجعك للحياة.

لا أحد يموت ثم يرجع للحياة.

ستعودين شبحًا.

سألته: هل أنت شيطان؟

لا، أنا خاطئ مثلك، وملعون مثلك تمامًا.

أنت من لعنني.

لا، أنا لم ألعنك، أنا كنت شاهدًا فقط على ما حدث لك.

أنت اعتديت عليَّ واغتصبتني.

أنا ظل لا أستطيع فعل ذلك.

إذن، من فعلها؟

إنه جاركم، ذلك الرجل الضخم ذو الأربعين عامًا والخمسة أولاد.

عم فاضل هكذا تدعونه.

أنت كاذب، هو يعتبرني كابنته، ولا يفعل بي ذلك؛ ثم إنني لم أراه، لم أر إلا الظل.

أنا أخفيته.

لماذا؟

لأني عقدت معه اتفاقًا.

أي اتفاق؟

لا يهم الآن أتريدين أن ترى؟

أرى ماذا؟

ما حدث بالفعل؟

كيف ذلك؟ أرني، إذن، إن كنت تستطيع.

نعم، أستطيع انظري.

obeikan.com

نظرت إلى حيث أشار لي، وجدت نفسي أدخل إلى الآثار وأرتاح إلى الظل، وبالفعل كان جاري فاضل كان موجودًا كيف لم أره؟

لا، أعلم قيدني وفعل ما فعل أغمضت عيني وصرخت لم أستطع مواصلة ما أراه كان الأمر قاسيًا جدًّا.

قلت له: يكفي هذا.

قال لي: لا، بل يجب أن تري هذا.

نظرت وأنا متخوفه مما سأرى.

وجدت أن فاضل طعنني، وكدت أن اموت حتي لا يعرف بجريمته أحد، واقترب مني الظل وحاوطني وعقد معي اتفاقًا لن تموتي الآن،

ولكن ستموتي لاحقًا سأهبك جزءًا من لعنتي لتبقي إلى الأبد معي على أن تقدمي لي قربانًا.

سألته ما هو؟

كل عشـرة أعـوام عليـك بعشـرة قلـوب رجـال تحرقيهـا، وتنثريـن رمادهـا علـى قبـرك.

قبري!

كيف سأعود، وكيف قبري؟

سـأعلمك وستسـكنين كل عشـر سـنوات جسـد جديـدًا لفتـاة جديـدة،

سيتغير شكلي كل عشر سنوات؟

لا، سـتختارين فتـاة تشـبهك جـدًّا فأنـتِ أجمـل مـن أن تفقـدي.

هل سأجد فتيات تشبهنني؟

نعم، ستعيشين كثيرًا، وسترين كثيرًا.

ماذا سأفعل الآن؟

سنتقاسم لعنتي، ستضحين بالرجال فتعودي إلى الحياة.

ولكن كيف سأقتل الأبرياء؟

ستعلمين أنه لا يوجد في هذا العالم برئ، كلهم خاطئون بدرجات مختلفة.

وكيف سأقتسم لعنتك؟

سأريك كل شيء وسأعلمك كل شيء، لكن سأعرفك أولاً بنفسي.

أنا الملك ريموش حاكم مدينة أكد.

أكد! إنه اسم المباني القديمة، أليس كذلك؟

نعم.

هل تقول إنك ما زلت موجودًا من مئات السنين، هل تهذي؟!

obeikan.com

نعم، أنا موجود ولكنني مجرد ظل كما ترين.

وكيف ذلك؟

سأخبرك بكل شيء.

في القرن الثاني عشر قبل الميلاد كان وادي الرافدين مقسومًا بين الآشوريين في الشمال، والكاشيين في الجنوب. قامت الحضارة الكلدانية البابلية الثانية فاحتل الملك كورش الإخميني مدينة بابل واتخذها عاصمة لملكه، واستمر الفرس يسيطرون على وادي الرافدين حتى هزمهم الإسكندر المقدوني الكبير فسيطر السلوقيون المقدونيون عليه وهم سلالة الإسكندر المقدوني، ثم شهد وادي الرافدين في عهد المقدونيين الكثير من الحروب، ثم استولى عليه البارثينييون

بعد انهيار الحضارة السومرية، وقامت الحضارة الآكدية مدينة أسسها (سركون الأكدي) واتخذها عاصمة لدولته.

استطاع سركون فرض سيادته على جميع مدن وادي الرافدين وامتد نفوذه على بلاد عيلام وسورية والأناضول جنوبًا إلى الخليج العربي، فدانت لحكمه منطقة واسعة الأطراف؛ بذلك أسس سركون أول امبراطورية معروفة في التاريخ.

وما علاقة كل هذا بي أو بك أنت؟

وما أدخلني بينكم؟

سأحكي لك لا تتعجلي فستعرفين كل شيء يا ديالا فأنتِ ولدتي لتتعلمي، وبعد ذلك شهدت البلاد في هذا العصر انتعاشًا اقتصاديًّا كبيرًا بسبب توسع العلاقات التجارية، خاصة في منطقة الخليج.

كما انتظمت طرق القوافل، وكان منها طريق مهم يصل مدينة أكد -عاصمة الامبراطورية- التي تقع في وسط وادي الرافدين، الغنية بمناجم النحاس في بلاد الأناضول، حيث كان هذا المعدن ينقل لكي يستخدم في صناعة الأدوات والمعدات الحربية.

عندما استولى سركون الأكدي على أور دانت له بالطاعة والاحترام لآلهة المدينة، واعتبرت هذه خطوة سياسية لبقة لكسب احترام ومودة سكان أور الناطقين باللغة السومرية.

مما أطلق عليهم اسم الساميين الذين انتشروا غالباً في الزاوية الشمالية من المنطقة نفسها؛

حيث تقع مدن كيش (تل الأُحيمر) وبابل وسيبّار (أبو حبّة) وفي مدن قرب الجزء السفلي من نهر ديالي شمال شرق بغداد؛ مثل إشنونّة (تل أسمر) وتوتوب (خفاجي)، وعرفت مناطقهم باسم «بلاد أكّد». كما أن المعابد التي كانت قد تهدمت لتقادمها احتفظ بأحجارها لتشييد المعابد الجديدة التي تبنى احترامًا وتقديرًا لقيمتها الروحية، وكان لسركون ابنة جميلة اسمها انخدوانا.

هذه الأميرة رئيسة الكاهنات وجميلة الجميلات ذات العيون البنية والشعر الناعم الحريري الأصفر والشفاة التي تشبة الكريز، وقامتها التي تشبه شجرة البلوط

وقوامها الفاتن. حبيبتي انخدوانا كانت رئيسة كاهنات المعبد، وهذا تقليد سومري حافظ عليه سركون أما إنا فكنت رفيق حياته،

وعندما عاني التمرد حاربت من أجله، حيث تحالف عليه ملكا عيلام وبَرَخْشُم في الجهات القديمة للتحرر من تبعيتهما لمملكته، فنكلت بجيوشهما وأعدت إخضاع مناطقهما واحتللت سوسة، ونقلت منها أسلابًا نفيسة كثيرة. وتعبيرًا عن تبجيلي للآلهة السومرية أهديت معبد الإله إنليل في نيبور عددًا من تماثيل وكميات ضخمة من الذهب والنحاس، غنمتها من الحرب بين أكد وعيلام وكنت أريد ايضا شراء ود أميرتي.

واستمرت سيادتي على شمالي بلاد الرافدين وفي سبيل ذلك قتلت الكثيرين من أهالي عيلام وبَرَخْشُم كما بنيت مدينة «دور ريموش» شمال الموصل.

وأدى اتساع نطاق المملكة الأكدية إلى ظهور صراعات بين أفراد الطبقة الحاكمة، ولكنني ساعدت في القضاء عليها جميعًا، لكنني تعرضت للخيانة.

كيف حدث ذلك؟

بعد كل ذلك ذهبت إليه لخطبة أميرتي انخدوانا، ولكنه رفض وعندما علمت بالأمر أصرت على أن تتزوجني فعزلها من رئاسة المعبد وعين (ايناناببيدا) ابنة أور باو هي رئيسة كاهنات المعبد بدلاً منها؛ فقررت الهرب والزواج مني

فعلم بذلك نارام سين فقتلها ودفنها ولم يعلمني أحد ليصطادني بها، كنت أعشقها وهو يعلم ذلك، فقتلها ودفنها بلا تكريم ولا مراسم نكاية فيَّ وأخفى الأمر حتى لا أستعد للانتقام ويقتلني غدرًا فذهبت إلى المعبد ليلاً عند الزقورات (بناء طولي)، كان كذلك مكان لقائنا، كلما ذهبت إلى المعبد وهناك حفرت تعاويذ السحر لأفوز بقلبها،

ولكني لم أجدها بل وجدت الحرس حاوطني وقادني إلى القصر الكبير؛ حيث كان سركون يتناول طعامه أمام حاشيته التي تتعدي الخمسة الآلاف شخص، وتمت

محاكمتي وحُكم عليَّ باللعنة المؤبدة وألا أدفن بالمعبد بعد موت جسدي،

وعلمت قبل تنفيذ الحكم أن حبيبتي قتلها نرام سين، وأقسمت أن أنتقم لها من قتلتها وسلالتهم جميعا وألقيت عليهم لعنتي،

ثم تبدلت الأوضاع في عهد نارام سين حيث عوقب بأن بقي سبع سنوات عاجزًا، واستقلت نيبور وعندما قام بحملة مدمرة على نيبور غضب الإله إنليل ودفع بالكوتيين إلى مهاجمة البلاد.

حل عهد مظلم، إذ حطموا وحرقوا مدينة (لكش) وما جاورها، بإسقاط الدولة الأكدية، لقد أوقعوا الخراب في أغلب مدن بلاد الرافدين القديمة فساد الخراب.

ودخل فن الرافدين سباتًا طيلة ١٠٠ عام فترة سيطرة البرابرة. في الوقت الذي استقر فيه (الكوتيون) في الشمال.

كانوا يواجهون التحدي باستمرار من مدن الرافدين الجنوبية، وحلت المجاعة والفوضى حتى انهارت المملكة. كان هذا انتقامي منهم جميعًا ولكنه لم يشفِ غليلي؛ فأقسمت أن أنتقم من كل سلالتهم، وأن أقتل رجالهم على أيدي نسائهم لتنعم روح حبيبتي بالراحة، هي لم تستطع الانتقام لنفسها فأوكلتني روحها للقيام بذلك، وما علاقتي أنا بكم؟

أنت من سلالة نورام سين يا ديالا تتمثل فيك روح حبيبتي انخدوانا يجب أن تثأري لها، يجب أن تقومي بدورك.

ولماذا انا من ضمن سلالتها تصيبني لعنتك ؟

لانك الوحيدة التي مرت من هنا منذ دفنت الف عام وانا أنتظرك يا ديلا

انه مصيري ولكن ما هو دوري وماذا تريد مني الآن؟

أن تساعديني في القضاء على سلالة نورام سين، وأنتقم لحبيبتي وأنا سأساعدك في الانتقام ممن قتلوك.

وبالفعل قبلت صفقته،

وأول من قتلت أبي وإخوتي الأحد عشر، ذهبت إلى بيتنا ليلاً وانتظرت في غرفتي التي هجروها منذ أن قتلوني وانتظرت حتي ذهب إخوتي للحقل صباحًا وأمي انشغلت بتنظيف البيت، وإعداد الطعام، وأنا أترقبها تعد أشهى الطعام وتتزين كأن شيئًا لم يحدث. اقترب المغرب واقترب معه موعد رجوع أبي وإخوتي من الحقل.

كان يجب أن أقوم بانتقامي ليلاً، وفي انتظار الليل مر اليوم كألف عام،

كنت أحسب الدقائق والثواني، كنت أريد ذبجهم منذ وطأت قدمي المنزل مرة أخرى، ولكن كان يجب أن احترم الموعد الذي حدده لي الظل.

قال لي: اقتليهم ليلاً ليصيب الهلع أرواحهم، كما فعلوا بك فانتظرت وانتظرت حتي حانت لحظتي نفس الموعد، خرجت مسرعة من غرفتي، فاجأت أمي كاد قلبها أن ينخلع هلعًا من عودتي.

قيدتها في شجرة البرتقال وأخذت عباءتها بيدي فألقيتها تحت قدمي وكممت فمها بشالها.

جاء إخوتي من الحقل قبل غروب الشمس وما إن رأوها حتي جروا إليها يتساءلون، من فعل بكِ ذلك؟

ولكن قبل أن يصلوا لها كنت أنتظرهم وقفت بينها وبينهم صدمهم وجودي فتجمدوا في مكانهم ألهتهم المفاجأة؛ فجريمتهم تتجسد أمامهم،

أخذوا ينظرون لبعضهم بتوجس غير مصدقين، باغتهم قبل أن يفيقوا فذبحتهم الواحد تلو الآخر بدم بارد، حتى وصلت لأبي كان مستسلمًا كأنه يعلم أن لجريمته عقابًا يجب أن يناله فقتلته وانتزعت قلوبهم أمام أمي وهي مقيدة بشجرة البرتقال مكاني، ورفعت عباءتها فوق رأسي ووقفت شامخة أزغرد، أتعلم لماذا؟

لأنها لم تصدقني، لم تقف بجواري، كان من الممكن أن تنقذني فأنا ابنتها. لو كانت تركتني أغتسل وأغير ملابسي ما علم أحد.

رجوتها أن تفعل ذلك،

فقالت لي: غدًا ستتزوجين وستفضح جريمتك

قلت لها: لن أتزوج سأعيش خادمة تحت قدميك، ولكن اتركيني أغير ملابسي وأغتسل.

قالت: أتريدين أن أداري على جريمتك يا فاجرة؟

قلت لها: أقسم لك لم أجرم، أُخِذت عنفًا بغير رضاي، ارحميني، لم توافق ولم ترحم ضعفي ولم تصدقني. بفعلتها هذه تسببت في قتلي.

وماذا فعلتِ بها بعد ذلك؟

هي أمك مهما كان، وهم إخوتك.

هي قدمتني إليهم وهم قتلوني بلا رحمة، فكيف أبقي عليهم

أقتلتي أمك أيضًا؟

openkan.com

لا، تركتها مقيدة، فماتت وحدها ما إن قتلت أبي حتي خرت ميتة، لم أقربها بيدي، لم أستطع قتلها.

أنت قاتلة!

وهم قتلة ويستحقون القتل.

وماذا فعلتِ بعد ذلك؟

ذهبت إلى منزل عم فاضل الرجل الذي كنت أعتبره مثل أبي.

ماذا فعلتِ به؟

لا أعلم تحديدًا، فقد كانت رغبتي في الانتقام تمزقني فمزقته مثلها، وشفيت غليلي.

وهل أخذتي قلبه أيضًا؟

هذا النجس كان بلا قلب.

ثم ماذا حدث؟

obeikan.com

أخذت القلوب، وعلمني الظل إقامة الشعائر وجبت البلاد بحثًا عمن تشبهني كانت قريبة لي وشبيهة بي أيضًا. كان اسمها تيرا وهي أول جسد سكنته أتعبتني حتي أقنعتها تترك جسدها لي طوعًا ثم تضحي بنفسها للتي تليها لم يكن الأمر صعبًا؛ فالمرات الأولى هي الأصعب في كل شيء، اعتدت أن أستحوذ على الفتيات وأتنقل بين الأجساد على مر العصور.

وبعد ذلك؟

أكملت لعنتي إلى اليوم، وها أنا الآن أمامك في آخر مرحلة في انتقالي إلى جسد جديد، ولكن تبقي لي الطقس الأخير حتى أستطيع أن أسكن جسدًا آخر.

ومن ستقتلين في هذا الطقس الأخير؟

لا تخف، أنت أقل قيمة من أن أقتلك في طقسي الأخير، يجب أن تكون الضحية هذه المرة تقدم نفسها لي كأضحية وأن تكون فتاة.

هل ستقتلين قمر؟

هل أنت غبي أنا كنت أسكن جسد قمر فكيف أقتلها؟!

هي أعدمت أمامك.

إذن من؟

قلت لك إنها بدور، استلمت خطابي، وتعلم أنها المختارة ثم إنها مجرد ترس في طاحونتي لا أكثر ولا أقل.

وهل ستعود قمر إن قتلتي بدور؟!

لا، سأدخل إلى جسد آخر هي الآن تستعد منذ عام لاستقبالي

ستكون شبيهة بقمر، لا تقلق.

أنا لا أريد سوى قمر.

قمر هذه قصة ساذجة غير موجودة فانسها، لأن فتاة فاشلة لم تنفعني.

obeikan.com

وكيف أن قمر قصة ساذجة؛ فقد ذهبت بنفسي للملجأ وتأكدت من وجودها؟

تلك الفتاة البائسة قمر كما تدعوها كانت ضعيفة، أذوها بكل الأشكال فلم تحرك ساكنًا بل جلست تندب حظها فكان سهل عليَّ أن أجرها إلى كتب لا قدرة لديها ولا قوة لاستيعابها،

فخرجت أنا واحتللت جسدها، فأنا لا أستطيع أن أعيش شبحًا طوال عمري، أنا من أرسلها إلى بدور حتي إنني من قتلت معلمتها لكي تتحرك وتسير مثلما رسمت لها، هي من النسل المنشود ولكنها تجهل ذلك.

قتلتي معلمتها يالك من قاتلة!

ألا تفهم لا أستطيع أن أبقى شبحًا هذا دستور لعنتي.

ومن وضع هذا الدستور لتحترميه كل هذا الاحترام؟

إنه الظل، لا تقاطعني، أردت معرفة الحقيقة وهأنا أخبرها لك، أنا أعيش من أضعاف عمرك مئات المرات،

أعيش منذ آلاف السنين، أختار على مر العصور من تشبهني من الفتيات فأرسل لها الدعوة وما إن تفتحها أسكن جسدها عشر سنين أقدم بيدها الأضحية البشرية للظل، وبعد ذلك أتركها فتنتحر أو تجن أو تموت.

لا أعلم ما أنتِ، ولكنك شيء شرير يسكن جسداً بريئًا. انتي كتلة من الاكاذيب تمشي علي الارض منذ قابلتك وانا واقع في بئر من الاكاذيب

أنت أحببت هذه الغبية قمر، وهي أيضًا أحبتك بجنون، ونفذ حبها لك لقلبي فضعفت ووهنت ووثقت بك، ولكن بفعلتك تلك سوف ترى نتيجتها.

ولماذا أحببتيني؟

لأنك رجل بلا خطيئة، أحببت قمر بصدق كنت مخلصًا لم تكن خاطئًا لأقتلك، أنت كسرت لعنتي، الظل قال لي: إنه لا يوجد رجل غير خاطئ،

ولكن أنت كذلك إلى أن أخطأت الآن، وغدرت بها بعد أن وثقت بك، ولكن القتل قليل عليك وأنا سوف أذيقك ما لا تحتمل.

ارحميني، فأنا لم أطبق سوى العدالة.

عدالتك جلبت لك عذابي، آخر ما أذكره أنها...

تمتمت بكلمات واختفي سواد عينها، وتحول إلى بياض كامل ثم إلى سواد كامل وأخذت تنزف دمًا كأنها تبكي دمًا وألقت كلمات كثيرة، وأشارت إليَّ لم أفهمها، أحسست أني أحترق وحبست في كتابي.

و.....

وماذا؟

بالتأكيد لهذه القصة تكملة، لا تقل لي إنك لا تعلم ما حل بقمر أو ديالا أو بدور بعد ذلك.

نعم، لها تكملة ولكني مرهق الآن، وأوشك الصباح على الإشراق وما حدث كان عظيمًا لا يستوعبه عقل سنكمل غدًا.

سأنتظر بكامل لهفتي، لا تتأخر كثيرًا.

احذري الفضول يا ريم؛ فهو من أتي بي إلى هنا.

وأشرقت الشمس، واختفى عادل وغالب ريم النعاس واستيقظت على صوت ياسمين أختها.

قومي يا دودة عندنا ضيوف.

ايه دودة دي كمان لقب جديد من ألقابك العبقرية.

مش أنت دودة كتب، طول الليل تقري وطول اليوم نايمة؟

ياسلام!

طبعًا يبقى زعلانه ليه.

عاوزه إيه يا ياسمين دلوقتي ومين عندنا.

سموك الساعة خمسة وعندنا طنط وفاء وابنها اللطيف الظريف.

يا أعوذ بالله، ولما دول اللي عندنا مصحياني ليه؟

عشان ماما قالتلي إن طنط وفاء عاوزه تسلم عليكي، وتشوفك يا عروسه المستقبل، فجت الوصيفة بتاعتك تصحيكي قومي يا عروسة.

أنا هضربك بحاجه افتح دماغك، متقوليش عروسة دي تاني أبدا في جمله واحدة مع طنط وفاء أو ابنها ماشي.

ليه بس ده الباشمهندس أشرف جميل.

اتجوزيه انتي وارحميني.

ياريت نفسي أتجوز وأسيبكم بقى واخرج براحتي بس هو عينه عليكي يا دودة.

طلعت عينه.

ماما بتستعجلني خلصي وقومي، اه وماما بتقولك يا عروسة البسي كويس وافردي وشك وحطي مكياج.

لا كده خلاص انا هقتلك رسمي اطلعي بره.

خرجت ياسمين مسرعة خوفًا من بطش ريم، وجلست ريم تتمتم ببعض الكلمات الساخطة، فمعنى أن طنط وفاء جاءت إليهم أن السهرة ممتدة للساعات الأولى من الصباح، ولن تستطيع أن تقابل عادل منتصف الليل ستضطر للانتظار حتى يغادروا، وقد يمل هو أيضا ويغادر، لا تعلم ماذا تفعل الآن؟!

فتحدث نفسها: اه لو كان معاه موبيل كنت سيبتله مسج ثم ضحكت ساخرة من الفكرة شبح بموبيل!!!

وقامت إلى الخارج لأداء هذا الواجب الثقيل على قلبها والمضطرة له.

لم يكن أشرف شابًّا سيئًا، ولكنه لا يشبه أحلام ريم، فهو لا يحب الكتب بل يفضل متابعة كرة القدم، وليس له أصدقاء إلا امه وعمله،

وهو يحب ريم ويتحمل معاملتها السيئة له، ولكن هو لا يستطيع اتخاذ قرار أن يصارحها بحبه مثلاً مثلما تقرأ هي في روايتها، لو فعل ذلك لربما فتح مجالاً معها

أو نافذة في قلبها، ولكنه يكتفي فقط بالنظر إليها عند تلميحات أمه لها. إنها عروسة ابنها حتى هي لا تعتقد أنه يحبها فقط، هو تعود منذ صغرهم أن ريم له فلم يترك لنفسه حرية الاختيار شتان بين عادل وأشرف

عادل هذا الرجل الذي ذهب وراء حبه إلى أبعد الحدود حتى إنه أنكر كل قوانين الطبيعة من أجلها واجتاز عوالم خطرة من أجل نظرة أخرى أو لمسة من يدها، وأشرف الذي يكتفي بالنظر إليها كأنها طبق حلوى أعد له فضمن التهامه.

مر الوقت بطيئًا مليئًا بالأحاديث المملة والأخبار المشوقة أحيانا والمعادة آلاف المرات أحيانا، ودقت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل؛ فأصبحت ريم على جمر تريد دخول غرفتها ولكن بلا فائدة،

وظهر الاضطراب على وجهها حتى أن أمها لاحظت ذلك وفشلت كل نظرات التهديد والوعيد في إنهاء توتر ريم أو إثنائها عن رغبتها في الهروب من الجلسة حتى لاحظت

طنط وفاء أخيرًا، فبدا عليها الضيق وهي تقول لابنها: يلا يا بشمهندس واضح إن العروسة عايزة تنام ومش قادرة تقعد. تمتمت ريم في نفسها حتى وهي تفارقنا تصر على تذكيرها بأنها عروسة ابنها لتنغص عليها ليلتها،

وما إن انتهت آلاف السلامات على الباب حتى تحولت أم ريم من نظرات التهديد الصامتة إلى مطاردة ريم لتنفيذ تهديداتها وإعادة أسطوانة كل زيارة ومحاولة تذكيرها أنها اقتربت من الثلاثين، ولن تجد عريسًا وستصبح عانسًا وحيدة

وأن أشرف لا يعيبه شيء فهو مهندس مدني «أد الدنيا»، وأنها لن تجد مثله ويحبها وهم يعرفونه حق المعرفة، ويعرفون أهله، وأمه تحبها وعنده شقة وسيارة

كأن أشرف هو أيضا سلعة تعرض ويتم تحليتها للشاري أو المشترية، وتنتظر ريم انتهاء أمها لتعيد عليها نفس الكلمات لا أحبه يا أمي ثقيل على قلبي ليس فتى أحلامي، ولن أصوم وأفطر على أشرف.

وتمتمت أمها ساخطة على أفعال ريم وأفكارها ومحاولتها تضيع مستقبلها، ولكن في قرارة نفسها هي تعلم أنها على حق فقد كانت أم ريم في موقفها يومًا ما وأخذت من تحب رغم أنف الجميع،

ولكن تعود لتقول ولكن ريم لا يوجد بحياتها حب آخر، آهٍ لو يأتي هذا الحب لكنت زوجتها إياه وإن كان شحاذًا.

لا يملك قوت يومه ولكنها هائمة في عالمها بين عملها وكتبها، ولا تفكر مثل الفتيات أحيانًا.

ألوم نفسي أنني زرعت فيها حب القراءة وأهديتها مكتبة أبي، لقد كنت أواظب على القراءة لها حتى أدمنت هذه الحياة. إنما ياسمين أختها كنت مشغولة بالبيت وأعباء الحياة فخرجت إلى العالم غير مهتمة بأي شيء، كلتاهما متضادتان، وهما من رحم واحد.

انتبهت أم ريم على صوت زوجها ينبهها أن آذان الفجر قد اقترب، فقامت لتتوضأ وتصلي وتدعي لأولادها لعلها تكون ساعة إجابة.

أما ريم فقد أغلقت عليها بابها، وهي تتلفت يمنة ويسرة لعلها تجد عادل بانتظارها، ولكن خاب أملها فقد اقترب الفجر وعادل لم يظهر بعد، ثم قالت: بالتأكيد جاء وعندما لم يجدني اختفى مرة أخرى،

نادت عليه بصوت هامس بلا فائدة أمسكت الكتاب وقلبت بين أوراقه لعلها تجده، ولكن بلا فائدة.

انطلقت من صفحاته تلك الرائحة التي تحملها لعوالم أخرى وجلست تفكر ماذا حدث؟

مر اليوم التالي سريعًا عكس ما كانت ريم تتوقع، فقد ساعدت أمها في بعض أمور البيت، وجلست تتصفح موقع الفيسبوك وترد على عشرات الرسائل من الأصدقاء؛ فهي لم تدخل صفحتها منذ أول يوم بمعرض الكتاب. وبعد أن فرغت نشرت منشورًا على صفحتها تقول فيه: إن الفضول هو ما يأخذنا إلى عوالم قد تؤذينا.

وهو ما أثار فضول أصدقائها فتوالت عليها الرسائل والمكالمات للاطمئنان على حالها.

وقد طمأنتهم جميعًا ولم تنتبه إلا لصوت أمها يدعوها لتناول العشاء، نظرت إلى الساعة وجدتها العاشرة والنصف تناولت طعامها سريعًا وأوت إلى غرفتها بعد أن أنهت غسيل الأطباق بالحوض فاليوم الدور عليها وصنعت كوب نسكافيه كبيرًا ليعينها على السهر، ودخلت إلى غرفتها مودعة كلمات أمها ونصائحها ألا تطيل السهر، وأن هذا النسكافيه والقراءة سوف يخلفان بقعًا سمراء تحت عينيها وسيضعف نظرها.

استعدت ريم للقاء عادل مترقبة، ولحظات وظهر بابتسامته الهادئة وملامحه الأنيقة،

قال لها: لم تأتِ أمس جئت لم أجدك فغادرت.

إلى أين تغادر؟!

إلى الكتاب.

لكني حاولت مرارًا وتكرارًا هزه دون فائدة.

ضحك عادل ضحكة لم تعتدها ريم من قبل، أعجبتها وأدهشتها كيف يكون شخصًا بكل هذا الكمال، ولكن أفاقت من شرودها على هاجس أن يكون أحد بالبيت قد سمع ضحكته اتجهت إلى الباب محاولة التنصت على الخارج سألها: ماذا تفعلين؟

قالت له: أخاف أن يكون أحد قد سمعك.

لا تخافي ياريم، فلا أحد يستطيع رؤيتي أو سماعي غيرك.

وهذا سر آخر لا أفهمه؟

لا أعلم، ولكن أنتِ الوحيدة التي فتحت الكتاب، وأنت تشبهينها كثيرًا.

من؟

قمر.

فعلاً، ولكنك تقول إنها باهرة الجمال.

وأنت أيضًا يا ريم باهرة الجمال.

obeikan.com

شكرًا لك.

ليست مجاملة، أنت بالفعل تشبهينها، ولكني لا أري سواها فأنا لم أرها بعيني مثلما رأيتها بقلبي، أتعرفين الحب يا ريم؟

قرأت عنه بالكتب، وسمعت عن نماذج رائعة، ولكنني لم أحياه قط.

ياللخسارة، فالحب مثل نسيم الصيف وهواء الشتاء لا يستطيع الإنسان العيش من دونه.

ما أروع تشبيهك.

يا ريم لكل محب جنته في حضور الحبيب، وجهنمه إن غاب. لا أعرف ماذا أقول لك، ولكني كنت أشعر بأن قلبي كزهرة الياسمن وهي كالخيط الذي يثقبها.

تقول ذلك رغم ما حدث.

أرجعتيني لعالمي ثانية ولعذابي، ولكني متأكد أن قمر ضحية مثلي، وانها موجودة في مكان ما تنتظر لقائي.

مستحيل، هل تعتقد ذلك حقًّا؟

أنا لا أعتقده فقط، أنا لا أشك في صحته لحظة، أنا أعيش هذا الأمل يا ريم، أتفهمين؟!

طبعًا، أفهمك احكِ لي ماذا حدث بعد ذلك؟

اختفت من أمامي في لحظات، وحبست أنا بالكتاب بمذكراتي، لم أفهم شيئًا أنا في بيتي أرى وأسمع كل ما يحدث ولكنني عاجز لا أستطيع الحركة أو التكلم أو الصراخ. وجدت جسدي مسجيًّا على الأرض لا أتحرك، أرى أمي تبكي وتتشح بالسواد من رأسها حتى أخمص قدميها، أرى أبي يبكي صامتًا وهو الوقور الذي لم أره يومًا يدمع من أجل أحد،

يبكي ويداري دموعه ويشد من أزر أمي، أرى أصدقائي يحملونني ويغسلونني بالماء والمسك، حتى إنني شعرت ببرودة الماء على جسدي وأنا بالكتاب، وشممت رائحة المسك التي أزكمت أنفي. ثم أخذوني ورحلوا. صرخت بأعلى صوتي أنا لم أمت أنا هنا محبوس ملعون

في الكتاب، ولكن بلا جدوى أطفأوا الأنوار وأغلقوا البيت وتركوه مثلما هو.

قالت أمي: لن أقربه حتي أموت يجب أن تبقى أشياءه كما هي، كما أحبها وكما تركها لكي أشعر بأنه موجود. هو لم يمت أشعر بذلك. يا ويلي يا أمي انا بالفعل موجود لم أمت، ولكن هيهات أغلق الباب وتركت وحيدًا وبعد فترة من الزمن لا أعلم مقدارها، فقد كان الوقت ثقيلاً غير محتمل عادت.

مَنْ؟!

ديالا أم قمر أم بدور؟!

فثلاثتهم كأنه مرآة لامرأة واحدة بعض الاختلافات البسيطة فقط لا غير لا تلحظ.

ولكن أتت بدور أولاً، وكانت ديالا بالانتظار لم تكن تكلمني أو تنظر إليَّ أو إلى الكتاب؛ حيث أنا محبوس حاولت استجداءها لمسامحتي وإرجاعي، ولكن دون جدوى. لم تكن تبدى أي ردة فعل كأنها لا تسمعني، ولكني كنت أشعر أنها تسمعني عينيها، تقول ذلك؟!!

في بعض الأوقات أشعر أن قمر تطل بين عينيها وتارة أخرى أرى ملامحها جامدة فأعرف أنها ديالا وتارة أخرى مرعبة كأنهم ألف شخص في عين واحدة. طرق الباب فتحته ديالا سريعًا ودخلت بدور سلمتها...

علمت أنها بدور لأنها سلمتها ذلك الخطاب الأسود اللعين. لم أر مثله من قبل، مظروف أسود صغير مرسوم عليه باللون الأحمر، ولكن للوهلة الأولى تشعرين بأن الدماء تسيل منه وليس مجرد رسم،

كان مفتوحًا أخرجت ديالا محتواه كانت ورقة كتبت فيها بضع كلمات رددتها ديالا بصوت مرتفع كأنها تعيدها على مسامعي وكانت بدور تقف كخادم مطيع في حضرة سيدة بلا حراك،

ثم ركعت فنقشت نقشًا على الأرض.

وجلست بدور القرفصاء في منتصفه تمامًا وقالت بضع كلمات ثم أغمضت عينها وقامت ديالا إليها تحمل سكينًا في يدها، وبمنتهى الثبات كمن اعتاد الأمر نحرت عنقها

لدرجة أن فصلت رأسها عن جسدها، ثم انتفضت وتغير شكلها وصوتها كأنها شخص آخر سكن جسدها صوته غليظ ومخيف جدًّا، كأنه قادم من أعماق بئر سحيقة،

وقالت ها أنتِ عدتي إلى ميتتك الأولى، يجب أن تتحري آلاف المرات لتتحرري من ذنبك من جسد بالٍ يسجنك إلى جسد جديد يشعل النار في القلوب، اصرخي واخرجي إلى العالم لتتهيئي للقادم الجديد، وفي نفس الوقت دق الباب فتحت ديالا الباب فدخلت التوأم الثالث لهن،

كأنها قمر يوم أن رأيتها للمرة الأولى، لكن وجهها شاحب كأن المرض أعياها ارتمت على الأرض كمن يستنجد بها. أشارت إليها فتوجهت إلى الرسم الذي تتوسطه بدور وجلست فوق جسمانها كأنها مدربة على ذلك أو مسلوبة الإرادة لا تستطيع إلا فعل ذلك وتمرغت في دمائها،

حتى كستها الدماء من رأسها حتي أصبع قدميها فخلعت ملابسها كمن ولدتها أمها واستمرت بالتمرغ.

وفجأة أطلقت صرخة مدوية تبعتها صرخات متتالية كأنها تشوى على النار، وأخذت تنتفض وتتمرغ حتى استسلمت لشئ قيدها وأخذت تتنفس بصوت مرتفع ما بين شهيق وزفير.

ولفها ظلام كظل وتكوَّن على شكل رجل وعاشرها معاشرة الأزواج وهي مستسلمة له حتي سال منها الدم فصرخت صرخة مدوية ولملمت ملابسها ووقفت ملطخة بالدماء مجروحة يسيل دمها بين ركبتيها، تحاول أن ترتدي ملابسها وشبح ديالا يراقبها. شعرت بأن الدموع تكاد أن تهرب من عينها وتلك هي المرة الأولى التي أراها دامعة العين. احتضنتها وأخذتها في الدوارن بضع دقائق ثم تمغطت الفتاة وعدلت من وضعها ورأيت عينيها، وقد تغيرت فعرفت أن ديالا سكنتها فأصبح صوتها مثلها

وقالت: الآن أيها الجسد دنست مثلما دنست أنا من قبل فالمخطئة لا تقبل إلا بجسد يسكنه الخطيئة، وهأنا أرى خطيئتي الأولى، ويؤلمني ألمي الأول.

لا أعلم، هل ما بي غضب ولعنة؟!

لكنني أستمر بالدوران في تلك الدائرة التي لا نهاية لها من عذابي.

ونظرت إلى الكتاب، حيث أسكن وكأنها توجه الكلام لي:

أتعلم لماذا حبستك بالكتاب، لنتشارك اللعنة فأنا لعنت بحبك يومًا ما.

وغادرت بيتي، ومنذ ذلك الحين لم أرها. إلى اليوم ما زلت هائمًا لا تفارقني صورتها، حققت العدالة وكسبت العذاب.

ريم: ألم تحكِ قصتك لأحد من قبل؟

أنت أول من فتح الكتاب منذ حبست به، تلقفتني أيادٍ كثيرة، كأن الكتاب كان ديكورًا لايقرأه أحد، وأظن أن ذلك كان جزءًا من لعنتي أيضًا.

وما الحل الآن؟

لا أعلم، ولكن هي لم تقرأ إلا ذلك الكتاب، وأنا أشعر بأن خلاصي بين سطوره.

وما اسم ذلك الكتاب؟

أسرار ملوك الجان.

سأبحث لك عنه، ورأت ريم خيوط النور تتسلل من وراء الشباك التفتت لتقول لعادل لم تجده وجدته اختفي مع نور الصباح، أوت ريم لفراشها ولكنها لم تر النوم لحظة واحدة

وما إن دقت الساعة العاشرة حتى ارتدت ملابسها، وذهبت لمعرض الكتاب. بحثت في كل أرجائه عن كتاب أسرار ملوك الجان فلم أجده سألت الجميع.

قال لي بائع كبير بالسن: تلك الأشياء لن تجديها هنا بل في مكتبة بالأزهر متخصصة في ذلك.

لم تُكذِّب خبرًا، ذهبت ريم مسرعة إلى الأزهر

دخلت إلى تلك المكتبة التي تنزل لها بضع درجات من السلالم وتشعر بالخوف لمجرد دخولك إليها وجدت رجلاً طاعنًا في السن، سألته عن الكتاب انتفض الرجل وقال أعوذ بالله لماذا يا ابنتي تريدين ذلك الكتاب، إنه شر كامن لعنة على بني البشر.

أنت من تقول ذلك؟

وأنت من تعاشر كتب السحر طوال عمرك؟

هذا أخبثها، ابتعدي يا ابنتي عن البحث حتى عنه، أنا أخاف عليك كأنك ابنتي.

خرجت ريم خائبة الأمل اتصلت بها صديقتها فاطمة تطمئن عليها، وجدت صوتها حزينًا سألتها: ما بك؟

قالت لها ابحث عن كتاب ولا أجده، قالت لها: ولماذا الحيرة ابحثي عنه بالنت بالتأكيد ستجدينه أو ستجدين شيئًا عنه.

شعرت ريم بأنه طوق نجاة بالنسبة لها جرت لمنزلها عكفت على النت طوال اليوم.

حتى وجدته أخيرًا في موقع خاص بالسحر الأسود، طبعته ولم تستطع أن تقرأ منه شيئًا فقد كانت خائفة. قارب الليل أن ينتصف، جلست ريم تنتظر عادل فظهر بموعده تمامًا.

هاهو الكتاب، ابحث فيه عن حريتك، نظر عادل إلى الأوراق قالها لها أين؟

ليس ذلك.

لا هو اقرأه، لتتأكد، سألها من أين أتيت به؟

من النت. استغرب وقال لها: ماذا؟!!

فهمت ريم أن هناك فجوة زمنية بينهم، قالت له اقرأ أولاً، ثم قرر.

أمسك عادل بالأوراق وفتحها. قال لها نعم هذا هو من لعنني أخذ يقرأ منه،

وريم ترتجف من داخلها وكلمات صاحب المكتبة ترن بأذنها حتى هتف عادل هاهو خلاصي لا أصدق ذلك شكرا لك، لا أستطيع أن أعبر لك عن شعوري.

حرر نفسك إذن.

نظر إليها وقال: لا أصدق أن الخلاص بين يدي.

سألته: وماذا تنتظر؟

قال لها: لي طلب.

ولكن أستحي أن أطلبه منك بعد كل ما فعلتيه لي، نظرت له منذ عرفتك أصبحت أخاف من الطلبات الأخيرة للراحلين.

ابتسم وقال لها: إن لم تريدي فلن ألح عليكِ.

اطلب وسوف نري

أريد أن تأخذيني إلى قبرها.

انتفضت ريم، قائلة:

مستحيل أن أذهب إلى هناك، ثم لماذا تريد الذهاب هناك أصلاً، ماذا تريد؟

بكى عادل،

وقال: هنا مكتوب أن الروح المحبوسة سوف تسكن مكان احتراقها، وأريد أن أسكن روحي بجوارها، أنا أحبها وأريد أن أظل بجانبها، لعل روحينا تلتقيان في يوم من الأيام.

- بعد كل ذلك تحبها؟!!

رد عليها: إنها أحكام القلب، أرجوك ثم أنا عشقت قمر وهي أحبتني لدرجة جعلت ديالا تحبني، ما بيننا شيء عظيم.

فكري ثم قرري، كما تريدين، وسوف أحترم قرارك.

وأين مدفنها ذلك؟

رد: أنا دفنتها مع أمي وأبي في مدافن العائلة با لبسا تين .

سأفكر.

-سأذهب الآن وأنتظر قرارك غدًا.

اختفى.

واستسلمت ريم للنوم، فقد كان الإرهاق يكاد أن يقتلها.

استيقظت متأخرة على صوت أمها: يا ريم اقترب العصر هيَّا لتأكلي معنا، مرت الساعات

وريم تفكر إلى أن قررت أن تغامر وتساعده، انتظرته جاء في موعده، نظرت إليه وكانت صامتة وهو يكاد أن يقتله الفضول والترقب.

قطعت ريم ترقبه وقالت: سأساعدك لكنَّ هناك شرطًا ألا تذبحني.

ضحك ثم قال: أنت خائفة اطمئني أنا اشتريت لنفسي العذاب لكيلا أقتل أحدًا لا أعرفه، ما بالك أنت يا من ساعدتني لا تخافي.

-إذن كيف سنذهب هناك؟

ستأخذين الكتابين معك، وسنذهب يوم أن يكون القمر بدرًا بعد العشاء مباشرة.

قالت له: إذن، اتفقنا.

جاء اليوم وأخذت ريم الكتابين، وذهبت للعنوان كان من الصعب جدًّا الوصول إلى مدافنهم، ولولا أنه مدفن العائلة كلها لكانت اندثرت منذ زمن بعيد.

افرغت حقيبتها من الكتب

وقالت لقد وصلنا هيا حرر نفسك خرج عادل وأمسك كتاب السحر وقرأ الكلمات وكانت ريم ترتعد من الداخل ولكن تحاول الثبات أمامه وبدأ في الاختفاء رويدًا والتحول إلى دخان وهو يبتسم لها ويشكرها على كل ما فعلته لأجله حتى اختفى تمامًا.

خرجت ريم جريًا من المكان، ثم تذكرت الكتب رجعت مسرعة حملتهم، وعندما تأكدت أنها ابتعدت أشعلت النار بكتاب السحر،

حتـي لا يجـده أحـد آخـر. وأوشـكت أن تحـرق كتـاب المذكـرات، ولكنهـا قـررت الإبقـاء عليـه.

ومـا إن دسـته في حقيبتهـا ورفعـت وجههـا حتـى وجـدت أمامهـا فتـاة تشـبهها كثيـرًا كأنهـا تنظـر بالمـرآة.

فقالت لها: من أنتِ؟

أنا، ألا تعرفينني يا ريم؟

لا.

هل أنتِ واثقة؟

أنـت قمـر، كانـت تقولهـا وقلبهـا يرتجـف وتتمنـى ألا يكـون مـا خمنتـة صحيحًـا

لا، أنا لست قمر.

الحمد لله.

ضحكت الفتاة، وقالت: أنا ديالا.

obeikan.com

صعقت ريم وكاد قلبها أن يتوقف وتحاول الجري لكن قدمها تسمرت مكانها،

وقالت: ماذا تريدين؟

أنت تعرفين ماذا أريد؟

لا ولا أريد أن أعرف.

أتعرفين لماذا؟

أنتِ فقط من فتح الكتاب بعد مائة وثلاثين عامًا.

لماذا؟

لأنك تشبهينني كثيرًا مثل قمر.

لا يهم، سأمشي الآن انتهي دوري.

أنت لا تفهمين، لقد بدأ توا أنا وضعت الكتاب في طريقك لتفتحيه وفككت لعنة عادل ليحكي لكِ لتكوني الآن أمامي لا تفزعي وأرجوكِ لا تشحبي فأنا سآخذ جسدك العشر سنوات القادمة،

ولا أريد أن يكون وجهي شاحبًا كأنني ميتة.

obeikan.com

لن تأخذيه ولن تقتلي بيدي.

ضحكت ديالا ضحكة مدوية.

فكشفت ريم عن جسدها وصدرها، وكان كله مزين بنقوش كثيرة وكتابات وعبارات باللون الأحمر فابتعدت ديالا عن ريم عدة خطوات، وهي ترتعد

وتقول لها: من أين أتيتي بهذا؟

من رجل طيب، هذا جواز سفرك لجحيم تستحقيه.

سأذهب الآن، ولكن اعلمي يا ريم أنك ستقضين عمرك كاملاً تتلفتين وراءك فأنا سأسكن كل زاوية تمرين بها ولن تكوني دائما محصنة سأنال منك يا ريم صدقيني. مطلقه صوت مدوي كأنه انفجار ،

واختفت في دقائق

تنهدت ريم بقوة وتذكرت عم محمد صاحب المكتبة بالأزهر ذلك الرجل الطيب الذي انقذ حياتها للتو وهو لا يعرفها وقد نادى عليها بعد أن غادرت،

وقال لها: ارجعي يا ابنتي أريد أن أعطيكِ شيئًا فأعطاها هذه التعويذة وطلب منها أن ترسمها على جسدها فوافقت. علي استحياء

قال لها انتي مثل ابنتي لا اريد لكي ضررا هذه التعويذه ستحميكي لبعض الوقت وادعوا الله ان يصرف عنك هذا الشر

اتمني ذلك يا والدي

قال لها ستحتاجين إليها في وقت ما، فما تواجهينه هو الأسوء على الإطلاق.

ورجعت ريم إلى بيتها، فتحت كتاب المذكرات ووجدت في نهايته رسالة من عادل طلب منها أن تبلغ قصته حتي يعلم الجميع أن للحب ثمنًا قد يصل للعذاب.

فكرت قليلا كيف تبلغ قصتة سيتهمها الناس بالجنون ان فعلت ولكن الهمها عقلها ان تكتب ما حدث في شكل رواية

وفعلاً مسكت أوراقها وكتبت:

ديالا

obeikan.com

obeikan.com

عن الكاتبة:

لمياء السعيد، خريجة كلية حقوق جامعة القاهرة، صدر لها العديد من المؤلفات ما بين روايات ومجموعات قصصية: عذاب الاشتياق، والقارورة، والتربي، وحواديت البنات.

إيميل:

Email: lamyaa723@yahoo.com

فيس بوك:

https//:www.facebook.com/lamyaa.elsaid

obeikan.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikan.com